موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٣٧)

الصراحة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك

دار رواح للنشر والتوزيع

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

٣٧

الصراحة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

دار روائع

www.mirabook.com
موقع المكتبة من مرابك

(ح) مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٢-٢٢٢-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٣٧)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٢-٢٢٢-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٣٧)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
الصراحة لغةً	٧
الصراحة اصطلاحًا	٧
الصراحة في الإرث العربي	٨
الصراحة علامة على قوة الشخصية	١٨
الفرق بين حفظ السر والصراحة	٢٤
الصدق والصراحة	٢٧
ميزات الصراحة	٢٩
الصراحة والتربية	٣٧
الخصائص النفسية للشخص الصريح	٤٠
الصراحة باعتبارها سلوكًا إنسانيًا	٤٥
المعاني الفرعية للصراحة	٤٩
الشخص الصريح في ميزان النقد	٥٦
المشكلات التي يمكن أن تترتب على الصراحة	٦١
صراحة الاعتراف	٦٦
الصراحة هبة	٧١
الفهارس	٧٩

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

www.mtenback.com

توطئة:

الصراحة هي أن يبدي الإنسان ما في نفسه ويظهره بصدق وإخلاص، وصرّح المتكلم بما في نفسه، أي أبداه وأظهره وصَرُح الأمرُ صراحةً: صفا وخلص وبان فهو صريح أي واضح وخالص مما يشوبه. واللفظ الصريح عند البلغاء يقابل الكناية، وأن الاستعارة أبلغ من التصريح كما أن الكناية أبلغ من الإفصاح بالذكر[1].

وهي قيمة أخلاقية عربية أصيلة، ونابعة من طبيعة البيئة العربية. فالصحراء ممتدة في جميع الجهات والأرض منبسطة على مدى الرؤية، تغطيها الرمال الصفراء حتى تلتقي الأرض بالسماء عند نهاية الأفق. وضوء الشمس ساطع يكشف كل شيء بالنهار، كما أن القمر ينير الرمال بالليل فيحيلها صفحةً بيضاء. فلا توجد أنهار تتلوّى وتنحرف يمينًا ويسارًا، ولا غابات كثيفة تحجب الرؤية وتعوق الحركة، بل كل شيء في شبه جزيرة العرب مكشوف وواضح وصريح: الأرض والسماء، والليل والنهار، والحر والبرد، والسهل والجبل، والبر والبحر، فلا غموض ولا إبهام.

وقد انعكست ملامح البيئة العربية على شخصية الإنسان العربي، وطَبَعته بطابعها ووسمته بميسمها، فأصبحت الصراحة ملمحًا بارزًا في شخصيته، وقيمة أصيلة شكلت نظامه الاجتماعي منذ القِدم، ومفهومًا مألوفًا في الثقافة العربية.

تجمع المعاجم العربية على أن المعنى للفظ يعني الوضوح، فيقال: صرّح فلانٌ بما في نفسه وصارح: إذا أبداه وأظهره، والتصريح خلاف التعريض[2]. كما أن التصريح بعد الإيهام يسمى تفسيراً[3].

---

[1] الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الرابعة (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص ٤٦٨.

[2] انظر ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، مادة (صرح) .

[3] انظر مطلوب، أحمد: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج٢، ص ٢٤٠.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الصراحة لغة:

في معاجم اللغة: الصرَح: هو المحض الخالص من كل شيء، أنشد للمتنخل الهذلي:

تَعْلُو السُّيُوفُ بِأَيْدِيْنَا جَمَاجِمَهُمْ كَمَا يُفَلّقُ مَرْوَ الْأَمْعَزِ الصَّرِحُ

ويقال شتمه مصارحةً وصراحًا أي مواجهة. يقال صرّح فلان بما في نفسه تصريحًا: إذا أبداه. والتصريح: تبيين الأمر، وفي حديث ابن عباس، سُئل متى يحلُّ شراء النخل؟ قال: حيث يُصَرِّح، قيل: وما التصريح؟ قال: حيث يستبين الحلو من المر.

وصرَّح النهار: ذهب سحابه وأضاءت شمسه.

قال الطِّرِمّاحُ يصف ذئبًا[٤]:

إذا امتَلَّ يَعْدُو قُلْتَ ظِلٌّ طَخَاءَةٍ ذَرَى الرِّيحُ فِي أَعْقَابِ يَومٍ مُصَرِّح

والصرحة من الأرض: ما استوى وظهر، والصراحة هي الصحراء.

الصراحة اصطلاحًا:

إن مفهوم الصراحة منسجمٌ ومتأثر ببيئة العرب الصحراوية إذ يدل أصلاً على الاستواء والظهور. ثم انتقلت الدلالة من المادي إلى المعنوي، فأصبحت تشير إلى النقاء والبيان والوضوح في كل شيء. وبذلك أصبحت (الصراحة) قيمة اجتماعية موروثة في الثقافة العربية.

والمعنى الصريح هو المعنى الواضح والظاهر والبين، خلافًا للمعنى الضمني أو المستتر أو المضمر. والشخص الصريح هو الذي يعبّر عما في نفسه بوضوح تام، ويقول كل ما يبدو له دون إبهام أو مواربة[٥].

---

[٤] الزمخشري، محمود بن عمر: أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص٣٥٢ (صرح).

[٥] صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط١، ج١، ص٧٢٦.

www.mtenback.com

فالصراحة إذن هي الوضوح، والبيان والاستقامة والمباشرة وهي ضد الغموض والتعمية والاعوجاج والالتواء والمراوغة.

الصراحة في الإرث العربي:

واضح من أمثال العرب المعبرة عن ثقافتهم العامة أن الصراحة تعد أهم ميزة تميزت بها العرب وأظهر قيمة تعكس شفافيتهم ووضوحهم وبيانهم في كل شيء وهم بالصراحة يحسدون قيمهم الاجتماعية والأخلاقية، ومواقفهم الفكرية ولعل أقرب شاهد على ذلك ما سطره المثل العربي حين جاء في أمثالهم قولهم: «صرح الحق عن محضه»، أي كشف عن خالصه، ويضرب هذا المثل في ظهور الأمر عقب استتاره، ومنها «أبدى الصريح عن الرغوة» أي ظهر الأمر وبان بعد خفاء، كما يقولون: «لقيه صُرَاحًا»، إذا لقيه مواجهة، وكذلك قالوا: «عند التصريح تستريح»، يريدون أن المرء بانكشاف الأمر يجد الراحة، وقد ذكرت الأدبيات العربية الكثير من الألفاظ التي تمجد الصراحة وزخرت القصص والأخبار بمدح الصراحة والوضوح في الأمر والشفافية ومالها من أثر فاعل.

وقد ورد أنه[٦] وفد إلى رسول الله ﷺ «الزبرقانُ بنُ بدر، وعمرو بن الأهتم»، فقال الزبرقان: يا رسول الله، أنا سيِّد تميم، والمطاع فيهم، والمجاب منهم، آخذُ لهم بحقّهم، وأمنعهم من الظلم، وهذا - يعني عمرو بن الأهتم - يعلم ذلك. فقال عمرو: أجلْ يا رسول الله! إنه مانعٌ لحوزته[٧]، مطاعٌ في عشيرته، شديد العارضة[٨] فيهم. فقال (الزبرقان): أما إنه والله قد علم أكثر مما قال، ولكنه حسدني شرفي!.

---

[٦] جاد المولى، محمد أحمد وآخرين: قصص العرب، القاهرة، دار إحياء الكتب، عيسى البابي الحلبي، ط٤، (١٩٦٢م) ج٢، ص٢٠٥.

[٧] حوزة الرجل: ما يحوزه ويملكه.

[٨] العارضة: البديهة وقوة الكلام.

www.mtenback.com

فقال عمرو: أما والله لئن قال ما قال، فو الله ما عَلِمْتُه إلا ضيِّقَ العَطَنِ[٩] زمِرَ المروءةِ[١٠] أحمق الأب، لئيمَ الخال حديث الغِنَى!

فرأى الكراهةَ في وجه رسول الله ﷺ لما اختلف من قوله. فقال: يارسول الله، رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ، وغضبتُ فقلتُ أقبح ما علمتُ، وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الثانية. فقال رسول الله ﷺ: إنَّ مِنَ البيانِ لسِحْرًا.

لقد امتزجت صراحة عمرو بحسن منطقه وبلاغة تخيّره لألفاظه، فاستحق إعجاب رسول الله ﷺ.

والصراحة في القول أمام صنوف الناس ليست محمولة على وجوهها، بل إنّ لكل مقام كلماته وأسلوب بيانه. فقد ذكروا أن عمرو بن العاص[١١] دخل على معاوية يسأله حاجةً، وقد كان بلغ معاوية عنه ما كرهه، فكره قضاءها وتشاغل. فقال عمرو: يا معاوية، إن السخاء فطنة، واللؤم تغافل، والجفاء ليس من أخلاق المؤمنين فقال معاوية: يا عمرو، بماذا تستحقُّ منا قضاءَ الحوائج العِظام؟ فغضب عمرو، وقال: بأعظم حقٍ وأوْجَبه، إذ كنت في بحر عجّاج[١٢]، فلولا عمرو لغرقتَ في أقلِّ مائه وأرقِّه، ولكني دفعتُك فيه دفعة فصرتَ في وسطه، ثم دفعتُك فيه أخرى، فصرتَ في أعلى المواضع منه، فمضى حكمك، ونفذ أمرك، ونطق لسانك بعد تلجلجه، وأضاء وجهك بعد ظُلمته. فتناوم معاوية، وأطبق جفنيه مليًّا، فخرج عمرو، فاستوى معاوية جالسًا، وقال لجلسائه: أرأيتم ما خرج من فم ذلك الرجل؟! ما عليه لو عرَّض؟! ففي التعريض[١٣] ما يكفي، ولكنه جبهني بكلامه، ورماني بسُموم سهامه.

---

[٩] العطن: المناخ حول الورد، وضيق العطن: كناية عن البخل.

[١٠] زمر المروءة: قليلها.

[١١] جاد المولى: قصص العرب،٢، ص ٣٧٤-٣٧٥.

[١٢] بحر عجّاج: لمائه صوت.

[١٣] التعريض: ضد التصريح.

www.mtenback.com

ومن أبرع ما يروى من بلاغات العرب ومداراتهم ومراوحة كلامهم مابين تصريح وتلميح وغموض وبيان، ماكان[١٤] من سعيد بن جبير حين أُتي به إلى الحجاج وكان يضمر له سوءًا، فسأله الحجاج عن اسمه فقال: سعيد بن جبير، فقلب الحجاج معنى الاسم وقال: بل أنت شقي بن كسير. فلم يجد سعيد بدًا من الصراحة والخروج عن الغموض و المجاملة فقال: أمي أعلم باسمي واسم أبي. فلجأ إلى الصراحة في موقف يرى أنها الأنسب له حيث لايمكن غيرها،وحيث لا ينفع مع أمثال الحجاج مجاملة أو غموض.

وربّما تملكت الجرأة قلوب بعض العامّة من الناس فجهروا بالحق صريحًا بين يدي حاكم شديد، في موقف مخصوص ليس لغير الله فيه هيبةٌ. فقد ذكروا أن الحجاج بن يوسف سمع[١٥] رجلاً رافعًا صوته بالتلبية، فقال: عليَّ بالملبِّي، فأُتي به، فقال: من الرجل؟ قال الرجل: من أفناء[١٦] الناس. قال الحجاج: ليس عن هذا سألتُك، قال: فعمَّ سألتني؟ قال الحجاج: من أي البلدان أنتَ؟ قال:من أهل اليمن. قال الحجاج: فكيف خلفت محمد[١٧] بن يوسف؟ قال: خلفته عظيمًا جسيمًا خرّاجًا ولاّجًا[١٨]. قال الحجاج: ليس عن هذا سألتك قال: فعمّ سألتني؟ قال الحجاج: كيف خلفت سيرته في الناس؟ قال الرجل:خلفته ظلومًا غشومًا، عاصيًا للخالق، مطيعًا للمخلوق، فازورّ من ذلك الحجاج، وقال: ما أقدمك على هذا وأنت تعلم مكانته مني؟ فقال الرجل:

---

[١٤] انظر: جاد المولى: قصص العرب، ٢، ص٣٧٩ -٣٨١. (سعيد بن جبير) أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر، وكان من أجمع التابعين لعلم الفقه والتفسير، وكان ورعًا تقيًا، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ.

[١٥] المصدر السابق، ٢، ص٣٨٢.

[١٦] أفناء الناس: أخلاطهم.

[١٧] هو أخو الحجاج، وكان عامله على اليمن.

[١٨] الخراج الولاج: العظيم الاحتيال.

www.mtenback.com

أفتراه بمكانة منك أعزّ مني بمكانتي من الله تبارك وتعالى، وأنا وافدُ بيته، وقاضي دينه، ومصدق نبيه ﷺ؟!. فوجم لها الحجاج، ولم يَحِر له جوابًا.

والجرأةُ الصريحة في النصح للحكام ليس لها إلا غَيورٌ على مصلحة الأمة مخلصٌ للحق، يرى غايته في نشر النصيحة وإذاعة المعروف ولو كان في ذلك خطر يتهدده أو شرٌ يصيبه. روَوا أنّ الحجاج شكا[19] يومًا سوء طاعة أهل العراق وسقم مذهبهم وسخط طريقهم، فقال له جامع المحاربيُّ، وكان شيخًا صالحًا خطيبًا لسنًا: إنهم لو أحبُّوك لأطاعوك على أنهم ما شنؤوك لنسَبك، ولا لبلدك ولا لذَات نفسك، ولكنهم نقِموا أفعالك، فدعْ ما يُبعدهم عنك إلى مايدنيهم منك والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك، وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعْدك. فقال له الحجاج:والله ما أرى أن أرد بني اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف، فقال جامع: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار.فقال الحجاج: الخيار يومئذ لله ! قال جامع: ولكن لا تدري لمن يجعله الله !فغضب الحجاج وقال: يا هناه[20] إنك من محارب. فقال جامع:

وَلِلْحَرْبِ سُمِّينَا وَكُنَّا مُحَارِبًا إِذَا مَا الْقَنَا أَمْسَى مِنَ الطَّعْنِ أَحْمَرَا

فقال له الحجاج: والله لقد هممتُ أن أخلع لسانك وأضربَ به وجهك فقال جامع: إن صَدقناك أغضبناك، وإن كذَبْناك أغضبنا الله، وغضبُ الأمير أهون علينا من غضب الله.

ومن الصراحة التي قد يضيق بها السامع حينًا ويفرح بها بعضهم حينًا آخر، ماكان بدافع الحب والإخلاص اللذين يدفعان محبًا لأن يقول رأيه صراحةً نابعًا من قلب مشرق وفكر حاضر لاتشوبه شوائب المصالح والمنافع[21]. ذكروا أن هشام بن عبد الملك حجّ في خلافة أخيه الوليد، ومعه رؤساء أهل الشام، فجهد أن يستلم الحجر، فلم

---

[19] جاد المولى: قصص العرب – ٢، ص٢٢٨-٢٢٩.

[20] يا هناه: يا فلان.

[21] جاد المولى: قصص العرب – ٢، ص٢٦٠-٢٦١.

www.mtenback.com

يقدر من ازدحام الناس، فنُصب له منبر فجلس عليه ينظر إلى الناس، وأقبل علي بن الحسين، وهو أحسن الناس وجهًا، وأنظفهم ثوبًا، وأطيبهم رائحة، فطاف بالبيت، فلما بلغ الحجر الأسود تنحّى الناس كلهم، وأخلوا له الحجر ليستلمه هيبةً وإجلالاً. فغاظ ذلك هشامًا، وبلغ منه، فقال رجل لهشام: من هذا أصلح الله الأمير؟

قال: لا أعرفه. وكان به عارفًا ولكنه خاف أن يرغَبَ فيه أهلُ الشام، ويسمعوا منه. فقال الفرزدق، وكان لذلك كله حاضرًا: أنا أعرفه، فسلْني يا شامي. قال: ومن هو؟ فقال الفرزدق:

هَذا الَّذي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ ... وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ

هَذا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللهِ كُلِّهِمُ ... هَذا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ العَلَمُ

إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا: ... إِلَى مَكَارِمِ هَذا يَنْتَهِي الْكَرَمُ

يَكَادُ يُمْسِكُه عِرْفَانَ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ الحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

فَلَيْسَ قَوْلُكَ: مَنْ هَذَا؟ بِضَائِرِه ... الْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ

ولاشك أن صراحة هذه الأبيات تنضح بعبير الحب الذي فاضت حرارته على جوانب الفؤاد واهتزت لجلاله أركان الجنان، فما كان له إلا أن يسيل به اللسان كلامًا عذبًا صادقًا.

ومن خير مواعظ أهل الزهد والتقوى للحكام وأولي الأمر ما حدّث به[٢٢] خالد ابن صفوان بن الأهتم[٢٣]، قال: أوفدني يوسف بن عمر الثقفي إلى هشام بن عبد الملك في وفد أهل العراق فقدمتُ عليه، وقد خرج بقرابته وحشمه وجلسائه، فنزل في أرض واسعة وقد ضُرب له سرادق، وأخذ الناس مجالسهم. فأخرجتُ رأسي من ناحية

---

[٢٢] جاد المولى: قصص العرب - ٢، ص ٢٦٢-٢٦٥.

[٢٣] كان خطيبًا بليغًا ولسنًا مبينًا، مات سنة ١٣٣هـ.

www.mtenback.com

السماط[٢٤] فنظر إليّ شبة المستنطق لي فقلت: أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمهُ، وجعل ما قلدك من هذا الأمر رشدًا، وعاقبة مايؤول إليه حمدًا، وأخلصه لك بالتُّقَى، وكثّرهُ لك بالنماء، ولا كدر عليك منه ما صفا ولا خالط سروره بالردى. فقد أصبحت للمسلمين ثقة، إليك يقصدون في أمورهم، ويفزعون في مظالمهم، وما أجد شيئًا - يا أمير المؤمنين - هو أبلغ في قضاء حقك وتوقير مجلسك، وما منّ الله عليّ به من مجالستك، من أن أذكّرك نعم الله عليك، وأنّبهك لشكرها، وما أجد في ذلك شيئًا هو أبلغ من حديث من سَلف قبلك من الملوك، فإن أَذِنَ أمير المؤمنين أخبرتهُ به. فاستوى هشام جالسًا، وكان متكئًا، ثم قال: هات يا ابن الأهتم فقلت: يا أمير المؤمنين إن ملكًا من الملوك قبلك خرج في عام مثل عامك هذا إلى الخَوَرَنْقِ والسدير[٢٥] في عامٍ قد بكّر وسْمِيُّه[٢٦]، وتتابع وليُّه[٢٧]، فهو في أحسن منظر وأحسن مستمطر بصعيدٍ[٢٨] كأن ترابه قِطَع الكافور، وكان قد أُعطِي فتاء[٢٩] السنّ مع الكثرة والغلبة والقهر، فنظر فأبعد النظر، ثم قال لجلسائه: لمن هذا؟هل رأيتم مثل ما أنا فيه؟ وهل أحد أُعْطِي مثل ما أعْطيتُ؟

وكان عنده رجل من بقايا حَملة الحجة[٣٠]، والمضيِّ على أدب الحق ومناهجه ولم تَخْلُ الأرض من قائم لله بالحجة في عباده فقال: أيها الملك، إنك سألت عن أمر،

---

[٢٤] السماط: جمع سمط، وهو الصف من الناس وغيرهم.

[٢٥] الخورنق والسدير: قصران بالحيرة في جنوب العراق، كانا للنعمان بن المنذر.

[٢٦] الوسمي: مطر الربيع الأول.

[٢٧] الولي: المطر الذي يلي الوسمي.

[٢٨] الصعيد: التراب أو وجه الأرض.

[٢٩] الفتاء: الشباب.

[٣٠] الحجة: البرهان.

www.mtenback.com

أفتاذن لي في الجواب عنه؟ قال: نعم. قال أرأيت هذا الذي أنت فيه، أشيء لم تزلْ فيه، أم شيء صار إليك ميراثًا وهو زائل عنك وصائر إلى غيرك، كما صار إليك مِن لَدُنْ غيرك؟

قال الملك: كذلك هو.

قال الرجل: فما أراك إلا أُعجبتَ بشيءٍ يسير تكون فيه قليلاً، ويغيب عنك طويلاً، وتكون بحسابه مرتهنًا.

قال الملك: ويحك فأين المَهْرب؟ وأين المَطلب؟

فقال الرجل: إما أن تقيم في ملكك فتعمل بطاعة الله ربك على ما ساءك وسرك، وأمضَّك[٣١] وأرمضك[٣٢]، وإما أن تضع تاجك، وتخلع أطمارك[٣٣] وتلبس أمساحك[٣٤]، وتعبد ربك حتى يأتيك أجَلُك.

قال الملك: فإذا كان السَّحَرُ فاقرعْ عليَّ بابي، فإني مختارٌ أحَدَ الرأيين، فإن اخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيرا لا يعصَى، وإن اخترتُ فلوات الأرض وقَفْر البلاد كنت رفيقًا لا يخالفُ.

فلما كان السَّحرُ قرع عليه بابه، فإذا هو قد وضع تاجه، وتخلع أطماره، ولبس أمساحه، وتهيأ للسياحة، فلزِما والله الجلَلَ، حتى أتاهما أجَلهما، فذلك حيث يقول عديٌّ بن زيد أخو بني تميم:

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيِّرُ بِالدَّهْـ ... ـرِ أَأَنْتَ الْمُبَرَّأُ الْمَوْفُورُ

---

[٣١] أمضه: أحرقه وشق عليه.

[٣٢] أرمضه: أوجعه.

[٣٣] الطمر: الثوب الخلق.

[٣٤] المسح: الكساء من الشعر الغليظ.

www.mtenback.com

أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِـــنَ الْأَيَّـــ ـــام بَـــلْ أَنْـــتَ جَـــاهِلٌ مَغْـــرُورُ
مَنْ رَأَيْتَ الْمَنُـــونَ خَلَّـــدْنَ أَوْ مَـــنْ ذَا عَلَيْـــهِ مِـــنْ أَنْ يُضَـــامَ خَفِـــيرُ
أَيْنَ كِسْرَى، كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنُوشَـــر وانَ أَمْ أَيْـــنَ قَبْلَـــهُ سَـــابُورُ
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِـــرَامُ مُلُـــوكُ الـــرُّ ومِ، لَـــمْ يَبْـــقَ مِنْهُـــمْ مَذْكُـــورُ
وَأَخُو الْقَصْـــرِ إِذْ بَنَـــاهُ وَإِذْ دِجْلَـــةُ تُجْبَـــى إِلَيْـــهِ وَالْخَـــابُورُ
شَـــادَهُ مَرْمَـــرًا وَجَلَّلَـــهُ كِلْـــ ـــسا فَلِلطَّيْـــرِ فِـــي ذُرَاهُ وُكُـــورُ
لَمْ يَهَبْهُ رَيْبُ الْمَنُـــونِ فَبَـــادَ الـــ ـــملـــك عَنْـــهُ، فَبَابُـــهُ مَهْجُـــورُ
وَتَذَكَّـــرْ رَبَّ الْخَوَرْنَـــقِ إِذْ أَشْـــ رَفَ يَوْمًـــا وَلِلْهُـــدَى تَفْكِـــيرُ
سَرَّهُ مَـــا لَـــهُ وَكَـــثْرَةُ مَـــا يَمْـــ ـــلِـــكُ وَالْبَحْـــرُ مُعْرِضًـــا وَالسَّـــدِيرُ
فَـــارْعَوَى قَلْبُـــهُ فَقَـــالَ: وَمَاغِبْـــ ـــطَةُ حَـــيٍّ إِلَـــى الْمَمَـــاتِ يَصِـــيرُ
ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالْإِمـــ[٣٥] ـــةِ وَارَتْهُـــمُ هُنَـــاكَ الْقُبُـــورُ
ثُـــمَّ صَـــارُوا كَـــأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفْـــ ـــفَ فَأَلْوَتْ[٣٦] بِهِ الصَّبَا وَالدَّبُـــورُ

فبكى هشام بن عبدالملك حتى ابتلت لحيته، وأمر بنزع السرادق، ونقل قرابته وحشمه وجلساءه ولزم قصره.

قال خالد بن صفوان فأقبلت الموالي والحشمُ عليّ، فقالوا: ما أردت بأمير المؤمنين أفسدت عليه لذته ونغصت عليه مأدبته؟ فقلتُ: إليكم عني، فإني عاهدت الله عز وجل ألا أخلو بملك إلا ذكرته الله عز وجل.

---

(٣٥) الإمة: النعمة.

(٣٦) ألوت: ذهبت، والصَّبا والدَّبور من أسماء الرياح.

www.mtenback.com

فالمتحدث هنا عمد إلى ضرب من الصراحة اتخذه موعظة وتذكيرًا و لم ير غضاضة من قول مايخالف الحال ويتجاوز حدود المجاملة وهو يتحدث إلى خليفة يرى أنه يستمتع بأمور الدنيا وينعم بكل مظاهر الترف والنعمة فحاول أن تكون في صراحته موعظة لأمير المؤمنين لتذكيره بأن كل ماحوله من النعيم زائل، وأن الدنيا لا تثبت على حال، ولا تدوم نعمها، وأن من الأفضل ألاّ ينخدع بها الإنسان.

وقد يساعد على الجهر برأي صريح وإن كان جارحًا مايتمتع به القائل من مكانة تحفظها له الآداب الاجتماعية السائدة والأعراف القائمة من توقير ذوي السن وتكريم أولي القرابة، في مجتمع تسوده الفطرة السوية والأخلاق الحميدة.

ذكروا أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت[٣٧] على معاوية وهو خليفة، وتحدثت إليه بصراحة وجرأة عبرت فيها عما تراه وهي بين يديه و لم يمنعها حضوره وسماعه لرأيها من قول ماتعتقده وتظنه صوابًا، فكانت بصراحتها مثالاً للصدق مع النفس ومع السامع. وقد تحمل معاوية صراحتها موقّرًا مكانها وسنها.

وهنا ملاحظة عامة تتصل بموضوع الصراحة، فإبراز قيمة الصراحة لا ينبغي أن يفهم على معنى ضيق، وألاّ تحصر مظاهرها في الكلام الصريح الذي لايفكر صاحبه في العواقب، وبصرف النظر عن متطلبات اللباقة واللياقة والمجاملة، وحدود الأدب، ولا يحقق الهدف المنشود من محاولة زرع الأنماط الأخلاقية العربية لدى الناشئة وتعريفهم قيمة الصراحة وأثرها في الحياة الاجتماعية.

إن للصراحة معنى واسعًا يشمل الاستقامة والصدق والوضوح والنزاهة إلى غير ذلك من مظاهر السلوك، شأنها في ذلك شأن الفضائل الأخلاقية الأخرى، تتداخل وتتشابك مع غيرها من السمات الخيِّرة، ويصعب على الإنسان العارف النظر إليها من هذه الزاوية الضيقة فقط.

---

[٣٧] جاد المولى: قصص العرب - ٢، ص١٢٣-١٢٥.

www.mtenback.com

ولنا أن نتساءل بعد هذا: ماذا نسمي التهور والجهل وعدم تقدير العواقب إذا كانت الصراحة هي الكلام بكل ما يجيش في النفس بغض النظر عن العواقب؟ ! وماذا نسمي قلة احترام المواقف والآخرين إذا كانت الصراحة هي قول ما يدور في الذهن دون حساب لكل ذلك؟ لا بد من توازن ومواءمة بين السمات ووضع محددات للفضائل بعد تحليل معمق بعيد عن السطحية، يجعل للعقل دوره في إدارتها وكيفية استخدامها واختيار أوقاتها ومناسباتها.

فالصدق، والحب والخير، والمصالح العامة هي رائد القول الصريح. وإلا فإن الصراحة ستكون مثل السلاح في يد الجاهل.

والصراحة، فوق كونها قيمة أخلاقية، هي طبيعة نفسية أداتها اللسان. فالإنسان الصريح يعبّر عن صراحته هذه بلسانه، وبالكلمات التي ينطقها، ويبين بها ما في نفسه. وقد قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[٣٨].

يقول الجاحظ في إحدى رسائله[٣٩]: «ولولا الكلام لم يكن يعرف الفاضل من المفضول، في معان كثيرة، لقول الله عز وجل، في بيان يوسف عليه السلام وكلامه عند عزيز مصر، لما كلّمه فقال: «إنك اليوم لدينا مكين أمين» فلو لم يكن يوسف عليه السلام أظهر فضله بالكلام، والإفصاح بالبيان، مع محاسنه المونقة، وأخلاقه الطاهرة، وطبائعه الشريفة، لما عَرَف العزيز فضله، ولا بلغ تلك المنزلة لديه، ولا حلّ ذلك المحل منه، ولا صار عنده بموضع الأمانة، ولكان في عداد غيره ومنزلة سواه. ولكن الله جعل كلامه سببًا لرفع منزلته، وعلو مرتبته، وعلة لمعرفة فضيلته، ووسيلة لتفضيل العزيز له».

---

[٣٨] سورة الرحمن: ١-٢-٣-٤.

[٣٩] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى (١٩٧٩م) ج٤، ص٢٣٤، ٢٣٥.

www.mtenback.com

والصراحة – كما رأينا – ليست دائمًا مأمونة العواقب، وكان العرب قديمًا يدركون ذلك. قال أكثم بن صيفي: «مقتل الرجل بين فكَّيه»[٤٠]، وقال شاعرهم[٤١]:

عَلَيْكَ حِفْظُ اللِّسَانِ مُجْتَهِدًا فَإِنَّ جُلَّ الْهَلاَكِ فِي زَلَلِهْ

وقال آخر[٤٢]:

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيْرا

إلا أنه ينبغي ألاّ نغفل صعوبة التصريح في بعض المواقف، لما يترتب على ذلك من المضرّة أو نقض عهد أو ميثاق سابق، فالالتزام بالمواثيق والعهود فضيلة وأي فضيلة، وربما منعت صاحبها من التصريح حيث ينبغي التصريح، يقول شوقي «ربما منعتك الحقوقُ الكلام، وألجمت العهودُ فاكَ بلجام»[٤٣].

الصراحة علامة على قوة الشخصية:

كلما قويت شخصية المرء، ارتفع في مستوى تفكيره ومستوى عواطفه وإرادته، فينتقي ما يصرّح به لغيره، ولا يُلْقي الكلام على عواهنه، ولايتخذ المواقف المستهجنة، بل يرتفع إلى مستوى رفيع من العلاقات الأخلاقية بينه وبين الناس. ولا شك أن قيمة (الصراحة) تستلزم وجود قيمة أخرى بالضرورة هي قيمة (الشجاعة) الأدبية والمناسبة الصحيحة لقول الصراحة وموضعها أين تقال.

---

[٤٠] أبو عبيد، القاسم بن سلام: كتاب الأمثال، تحقيق: عبد الحميد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، (١٩٨٠م)، ص ٤١.

[٤١] البيهقي، إبراهيم بن محمد: المحاسن والمساوئ، وقف على طبعه «فريدريك شوالي»، ليبزج، (١٩٠٢م)، ص٤٠٩.

[٤٢] أبو عبيد: كتاب الأمثال، ص ٤١.

[٤٣] أحمد شوقي: أسواق الذهب، مكتبة مصر بالفجالة، القاهرة، (د.ت)، ص ١٢٥.

www.mtenback.com

كما أن سلوك (الصراحة) يكشف عن نفسية صاحبه، فالشخص الصريح يتمتع بخاصية نفسية بارزة هي الثقة بالنفس، وهي دليل الصحة النفسية التي يتمتع بها الشخص الصريح.

والصراحة هي أقصر الطرق إلى الحقيقة، بل إن الصراحة عنوان الحقيقة، لأن الحقيقة لا تظهر إلا بجلاء ودون مواربة أو مداراة أو غموض. وإذا كان الأمر كذلك، فإن الصراحة هي السبيل الوحيد للفهم والإدراك الصحيح للأمور والأشياء.

والصراحة قرينة الصدق ونقيضة الكذب والنفاق، لذلك فهي سبيل للتطهير من كل ألوان الكذب والنفاق والخداع، وقد قال أبو بكر الأنباري: وربما استعمل بعضُ المموِّهين المتملقين البشاشة في الملاقاة والبشر، فيفضحه ناظره، ومن ذا الذي يملك صفرة الفَرَق، وحمرة الخجل، وإشراق السرور؟! ومن ذا الذي يستوي صفاءُ حدقته وكمودها إذا رأى مَن يحب أو يكره؟!.

قال أبو تمام[٤٤]:

وَكَذاكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُؤْسٍ وَنَعِيمٍ طَلاَئِعُ الْأَجْسَادِ

وقال بعض الحكماء لتلميذه: أفهمت ما ضَرْبُ الموسيقا؟

قال: نعم. قال الحكيم: بل لم تفهم، لأني لا أرى سرور الفهم في عينيك[٤٥].

ويجب التحرز من الخلط بين مفهوم الصراحة، وهي قيمة أخلاقية إيجابية وبين مفهوم المجاهرة والبذاءة وسوء الأدب مع من تتحدث، وهو مما نهى عنه النبي ﷺ، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه في باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه أن رسول الله

---

[٤٤] الخطيب التبريزي، يحيى بن علي: شرح ديوان أبي تمام، تقديم: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي ط١، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ج١، ص١٩١.

[٤٥] الحصري القيرواني: المصون في سر الهوى المكنون، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، دار العرب للبستاني، القاهرة، (١٩٨٩م)، ٢١، ٩٢.

www.mtenback.com

ﷺ قال: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً، ثم يصبح قد ستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»[٤٦].

فالمجاهرة - عكس الصراحة - سلوك مشين ومرفوض، فإذا كانت الصراحة تعمل على بناء كيان اجتماعي سليم، يسوده الصدق والنقاء والحب، وتتسم علاقات أفراده بالترابط والتضامن والمتانة والقوة، فإن المجاهرة تعمل على الهدم وتفتيت العلاقات بين أفراد المجتمع وإضعافها، وتعمل أيضًا على إشاعة الفاحشة في المجتمع وإثارة الفتن، وقد صدق من قال: (كم كلمة قالت لصاحبها دعني).

وخطب عمر بن الخطاب يومًا فقال: «لا تغلوا صداق النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله، لكان أولاكم وأحقكم بها محمد ﷺ، ما أصدق امرأة من نسائه، ولا أُصْدِقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية. وإن الرجل ليثقل صدقة امرأته[٤٧] حتى يكون لها عداوة في نفسه. فقامت إليه امرأة فقالت: يا عمر، يعطينا الله وتحرمنا، أليس الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾[٤٨] فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر[٤٩]. فقد كانت الصراحة في مكانها، ولولا صراحة عمر وصراحة المرأة لغاب الحق في هذه المسألة وعمي الصواب فمكان الصراحة ووقتها جعلا لها قيمة نافعة.

وقد يكون في الصراحة معنى المواساة والتسلية وحسن التأتي للحديث المقبول من الناس فقد حدث أن شعر سفيان بن عيينة المحدث المشهور بفارق اجتماعي عاشه

---

[٤٦] مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة، (د.ت)، ص ٢٢٩١.

[٤٧] صدقة امرأته: أي مهرها.

[٤٨] سورة النساء، الآية ٢٠.

[٤٩] القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الكتب العربية، (١٣٧٨هـ)، ٥: ٩٩.

www.mtenback.com

وعبر عنه بصراحة واضحة أمام الناس الذين رأى أنه شقي بهم بعد مجالسته أصحاب رسول الله، فواجهه جلساؤه بصراحة كصراحته وقابلوا حالهم معه وحاله مع من ندم على فراقهم، فقال له يحيى بن أكثم بعد أن مهد لصراحته بتلطيف يليق بمكانة الشيخ: والله لشقاء من جالس أصحاب رسول الله بك أشد من شقائك بمجالستنا. فأطرق سفيان بن عيينة، وتمثل شعر أبي نواس[٥٠]:

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِلرَامِ ... وَامْضِ عَنْهُ بِسَلاَمِ

مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ ... لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلاَمِ

ولكن صاحب الشخصية القوية لا يقدم على التصريح والبوح بكل ما يعرف إنه يفحص بدقة أفكاره ومشاعره قبل الإفضاء بها، وينظر بحكمة وتعقل فيما يريد أن يقول. فما كان خليقًا بالتصريح صرح به، وما لا يصلح لذلك كتمه وعده سرًا من الأسرار[٥١].

كما أن صاحب الشخصية القوية لا ينطلق في صراحته دون أن يأخذ في حسبانه حال من يصرح له بخواطره. وعلى حد تعبير البلاغيين العرب: لكل مقام مقال، فلا يكشف أسراره لأي شخص، ولا يفصح عن مشاعره لكل إنسان. فهو يتحرى أولاً حقيقة الشخص الذي يصرح له بمكنون نفسه، ويفكر مليًّا فيما يمكن أن يفضي إليه ذلك من آثار وما يؤدي إليه من نتائج.

ولعل من أبرز مظاهر الشخصية القوية ضبط النفس، فالأناة والحِلْم من مكارم الأخلاق العربية، وكثير من العرب والمسلمين اشتهروا بالحلم، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ، كان إذا سمع كلمة تؤذيه ابتسم و لم يرد على قائلها. وكان يعفو دائمًا ويصفح.

---

[٥٠] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، ١٤-١٩٣.

[٥١] يوسف ميخائيل أسعد: الصراحة مالها وما عليها، دار الغريب، القاهرة، (١٩٨٨م)، ص١٣٦.

www.mtenback.com

لكن هذا الحلم وهذه الأناة لا تمنع ولا تتعارض مع ما أوصى به الله ورسوله كل المسلمين بأن يكون لديهم شعور بالكرامة والعزة، فلا يخشى المسلمُ أحـــدًا إلا الله ولا يرهب سواه، هو يقول الحق لا يخشى فيه لومة لائم. وقد سُئل رســـول الله ﷺ: أي الجهاد أفضل؟ فقال: كلمة حق عند سلطان جـــائـــر. وكان يوصي بألا يذلّ أحـــدٌ نفسه وألاّ يرهب أحدًا في قول الحق، فإن قوله لا يقرّبه من موت ولا يباعد بينـــه وبـــين رزقه[٥٢]. كذلك ينهى الله ورسوله عن الخداع، وهو إظهار الخادع الشيء بخلاف مـــا يخفيه منه، وله صور كثيرة.

ولاشك أن سلوك الإنسان القويم ينعكس على أفكاره وأحاديثه وكلامه مـــع الآخرين، أما إذا كان سلوكه سيئًا فهو كما قال المتنبي[٥٣]:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَـــاءَتْ ظُنُونُـــهُ ... وَصَدَّقَ مَـــا يَعْتَـــادُهُ مِـــنْ تَوَهُّـــمِ

وَعَـــادَى مُحِبِّيْـــهِ بِقَـــوْلِ عُدَاتِـــــهِ ... وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّـــكِّ مُظْلِـــمِ

ثم يصوّر لنا المتنبي النموذج النقيض لذلك، فيقول[٥٤]:

أُصَادِقُ نَفْسَ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْـــمِهِ ... وَأَعْرِفُهَـــا فِـــي فِعْلِـــهِ وَالتَّكَلُّـــمِ

وَأَحْلُمُ عَـــنْ خِلِّـــي وَأَعْلَـــمُ أَنَّـــهُ ... مَتَى أَجْزِهِ حِلْمًا عَلَى الْجَهْـــلِ يَنْـــدَمِ

وَإِنْ بَذَلَ الْإِنْسَانُ فِي جُـــودِ عَـــابِسٍ ... جَزَيْـــتُ بِجُـــودِ التَّـــارِكِ الْمُتَبَسِّـــمِ

وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُـــلَّ سَـــمَيْدَعٍ ... نَجِيْبٍ كَصَدْرِ السَّـــمْهَرِيِّ الْمُقَـــوَّمِ

خَطَتْ تَحْتَهُ الْعِيْسُ الْفَلَاةَ وَخَـــالَطَتْ ... بِهِ الْخَيْلُ كَبَّاتِ الْخَمِيْسِ الْعَرَمْـــرَمِ

---

[٥٢] شوقي ضيف: عالمية الإسلام، دار المعارف، القاهرة، (١٩٩٩م)، ص ١١١.

[٥٣] المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين: ديوانه، مكتبة مصر بالفجالة، القاهرة، (١٩٩٤م)، ص٣٦٨.

[٥٤] المتنبي: ديوانه، ص ٣٦٩.

www.mtenback.com

وَلاَ عِفَّــةٌ فِــي سَــيْفِه وَسِــــنَانِه وَلَكِنَّها فِي الْكَفِّ وَالطَّــرْفِ وَالْفَــمِ
وَمَا كُــلُّ هَــاوٍ لِلْجَمِيْــلِ بِفَــاعِلٍ وَلاَ كُــلُّ فَعَّــالٍ لَــــهُ بِمُتَمِّــــمِ

وضبط النفس عند الكلام والإفصاح عما بداخل الإنسان في بعــض المواقــف والمقامات يكون الخطر فيه محدقًا، فيكون الحذر واجبًا، وقد عبَّر عن ذلك المتنبي أيضًــا فقال[٥٥]:

قَدْ هَوَّنَ الصَّبْرُ عِنَدِي كُــلَّ نَازِلَــةٍ وَلَيَّنَ الْعَزْمُ حَدَّ الْمَرْكَــبِ الخَشِــنِ
كَمْ مَخْلَصٍ وَعُلاً فِي خَوْضِ مَهْلَكَــةٍ وَقَتْلَــةٍ قُرِنَــتْ بِــالذَّمِّ فِي الجُبُــنِ
وَخَلَّــةٍ فِــي جَلِيْــسٍ أَتَّقِيــهِ بِهَــا كَيْمَا يُرَى أَنَّنَــا مِثْــلاَنِ فِي الوَهَــنِ
وَكِلْمَةٍ فِي طَرِيــقٍ خِفْــتُ أُعْرِبُهَــا فَيُهْتَدَى لِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَــى اللَّحَــنِ
يَسْتَخْبِرُوْنَ فَــلاَ أُعْطِيهِــمُ خَــبَرِي وَمَا يَطِيشُ لَهُمْ سَــهْمٌ مِــنْ الظَّنَــنِ

وفي لحظة من لحظات الصدق مع النفس، يصرِّح لنا المتنبي بحقيقة رأيه في الناس حوله، وقد ذاق منهم مُرَّ الحديث وسوء المعاملة، فيقول[٥٦]:

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّــاسِ يَنْخَــدِعُ إِنْ قَاتَلُوا جَبُنُوا أَوْ حَدَّثُــوا شَــجُعُوا
أَهْــلُ الحَفِيْظَــةِ إِلاَّ أَنْ تُجَرِّبَهُــمْ وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ الْغَيِّ مَــا يَــزَعُ

وقال[٥٧]:

وَلَمَّــا صَــارَ وُدُّ النَّــاسِ خِبًّــا جَزَيْــتُ علَــى ابْتِسَــامٍ بِابْتِسَــامِ

---

[٥٥] المتنبي: ديوانه، ص ٣٩٥.
[٥٦] المصدر السابق، ص ١٩٧.
[٥٧] المصدر السابق ص ٣٧٢.

www.mtenback.com

فهو قد خبر حقيقة الناس، وأنهم مخادعون في أكثر تعاليمهم وكلامهم، يتربص بعضهم ببعض، فهو لذلك قد اكتفى بإبداء الابتسام وامتنع عن الحديث معهم.

الفرق بين حفظ السر والصراحة:

ويجب التحرز من الخلط بين الصراحة وبين إفشاء السر فلاشك أن إفشاء السر نقيض لمكارم الأخلاق، لأن السر أمانة من الأمانات يستودعك صاحبه إياه لتصونه لا لتضيّعه، فإذا أذعته فقد ضيّعت الأمانة. وهذا سلوك مذموم ومشين. لكن بعض الناس يضيق صدره عن كتمان السر، ويحس بعبئه الثقيل عليه فيعمد إلى إفشائه ونشره. وقد لا يكون فعله هذا بدافع الإفساد والسعاية، ولكنه قد يكون بدافع الـتـرثرة لا غير. والرغبة في إراحة النفس من هم مغالبة الكتمان ومدافعة الحفظ[٥٨]، وقد ذكر الجاحظ أن ضيق الصدر بكتمان السر من أخلاق الصبيان والنساء، ومن أخلاق الخصي أيضًا!

يقول الجاحظ: «ويعرض للخصي سرعة الغضب والرضا، وذلك من أخلاق الصبيان والنساء ويعرض له حب النميمة، وضيق الصدر بما أودع من السر، وذلك من أخلاق الصبيان والنساء»[٥٩].

روى الفقيه الأندلسي ابن حزم في كتابه (طوق الحمامة) أن المرأة قادرة على كتمان السر مثلها مثل الرجل وربما أكثر، يقول: «وما رأيت الإسعاد أكثر منه في النساء، فعندهن من المحافظة على هذا الشأن والتواصي بكتمانه، والتواطؤ على طيّه إذا اطّلعن عليه، ماليس عند الرجل، وما رأيت امرأة كشفت سر متحابين إلا وهي عند النساء ممقوتة مستثقلة مرمية عن قوس واحدة. وإنه ليوجد عند العجائز في هذا الشأن ما لا يوجد عند الفتيات، لأن الفتيات منهن ربما كشفن ما علمن على سبيل

---

[٥٨] محمود الطناحي: مستقبل الثقافة العربية، القاهرة، دار الهلال، (١٩٩٩م)، ص ٣٦٦، ٣٦٧.

[٥٩] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: كتاب الحيوان، تحقيق:عبدالسلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، (١٩٣٨م)، ج١، ص ١٣٥.

www.mtenback.com

التغاير[٦٠]، وهذا لا يكون إلا في الندرة، وأما العجائز فقد يئسن من أنفسهن فانصرف الإشفاق محضًا إلى غيرهنّ»[٦١].

ويروي ابن حزم خبرًا دالاً في هذا الشأن، يقول: «وإني لأعلم امرأة موسرة ذات جوار وخدم، فيشاع على إحدى جواريها أنها تعشق فتى من أهلها ويعشقها، وأن بينهما معاني مكروهة، وقيل لها: إنّ جاريتك فلانة تعرف ذلك وعندها جلية أمرها، فأخذتها، وكانت غليظة العقوبة، فأذاقتها من أنواع الضرب والإيذاء ما لا يصبر على مثله جلداء الرجال، رجاء أن تبوح لها بشيء مما ذُكر، فلم تفعل البتة»[٦٢].

وقيل لعدي بن زيد شاعر النعمان بن المنذر: أي الأشياء أوضع للرجال؟ قال: كثرة الكلام، وإذاعة السر، والثقة بكل أحد[٦٣].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «مَنْ عرّض نفسه للتهمة بيده فلا يلومنّ إلا نفسه، وضع أمر أخيك على أحسنه، حتى يأتيك أمر يغلبك ولا تظن بكلمة خرجت من فم امرئ مسلم شرًا، وأنت تجد لها في الخير محملاً، وعليك بإخوان الصدق تكن في أكنافهم، فهم زينة في الرجاء، وعدة في البلاء، ولا تتهاون في الحلف بالله فيهينك الله، وعليك بالصدق وإنْ قَتَلَكَ الصدق، ولا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا الأمين إلاّ مَنْ خَشِيَ الله، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك فيفضحك» [٦٤].

---

[٦٠] أن تغار الفتاة من صاحبتها وصاحبتها تغار منها.

[٦١] ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق: الطاهر أحمد مكي، القاهرة (١٩٩٤م)، ص ١٨٧.

[٦٢] المصدر السابق نفسه.

[٦٣] الحصري القيرواني: المصون في سر الهوى المكنون، ص ١١٥.

[٦٤] المصدر السابق، ص ١١٤.

www.mtenback.com

وقد عدَّ الغزالي الفحش والسبّ والبذاءة آفة واحدة وأضاف إليها (البيان) الوارد في الحديث الشريف: «البذاء والبيان شُعْبَتَان من شُعَب النفاق».

وفسَّر الغزالي هذا البيان بكشف ما لا يجوز كشفه، أو المبالغة في الإيضاح حتى ينتهي التكليف. أو البيان في أمور الدين، وفي صفات الله أمام العوام، إذ قد يثور من غاية البيان شكوك و وسواس[٦٥].

وليس إفشاء السر من الصراحة في شيء، لأن إفشاء السر مذموم: لما فيه من الإيذاء والتهاون في حق المعارف والأصدقاء، وقد عدّ الغزالي من حقوق الأخ على أخيه: «أن يسكت عن إفشاء سرّه الذي استودعه، وله أن ينكره، وإن كان كاذبًا، فليس الصدق محمودًا في كل مقام، فإنه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره، وإن احتاج إلى الكذب، فله أن يفعل ذلك في حقّ أخيه، فإن أخاه نازل منزلته، وهما كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن».

وقد قال الشاعر[٦٦]:

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ

وقد امتدح الشعراء عدم إفشاء الأسرار، وأوصى الحكماء بحفظها، وفي ذلك إشارة إلى عدم التصريح بالسر سواءٌ من صاحب السر نفسه، أو من غيره ممن أحسن بهم الظن في حفظ السر. قال الشاعر[٦٧]:

تَبُوحُ بِسِرِّكَ ضِيْقًا بِهِ وَتَبْغِي لِسِرِّكَ مَنْ يَكْتُمُ

إِذَا ذَاعَ سِرُّكَ مِنْ مُخْبَرٍ فَأَنْتَ لِمَنْ لُمْتَهُ أَلْوَمُ

---

[٦٥] مبارك، زكي: الأخلاق عند الغزالي، دار الشعب (١٩٧٠م) ص ٢١٧.

[٦٦] الحصري القيرواني: المصون في سر الهوى المكنون، ص ١١٣.

[٦٧] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

ولما كانت الأسرار ودائع، فالتصريح بها إضاعة لها، لذلك كان الحرص يدعو إلى عدم تصريح المرء بمكنونه ومستور فعله، من جهة الوفاء لنفسه وحفظ خصوصياتها، مثل حفظ أسرار الآخرين الذين استودعوه أسرارهم، قال الشاعر[٦٨]:

سَأَكْتُمُهُ سِرّي وَأَكْتُمُ سِرَّهُ ... وَلاَ غَرَّنِي أَنِّي عَلَيْهِ كَرِيْمُ

حَلِيْمٌ فَيَنْسَى أَوْ جَهُولٌ يُذِيْعُهُ ... وَمَا النَّاسُ إِلاَّ جَاهِلٌ وَحَلِيْمُ

وقال سهل بن هارون لأخٍ له: «إن كتمان السر شاهدٌ بفضل الحزم وكمال الحزم، فاحتجن سرك، وسلِّط عليه كتمانك، واستنجح له طلبتك، وارع ما استودعت بصيانته، ولا تهتك ستره بإذاعته، وكن لفضل الرأي في ذلك مؤثرًا، وبجميل الثقة به مسترعيًا، فقد قيل: مَنْ مَلَكَ في السرِّ كتمانه، وفي المالِ بذله، مُتِّع بالغبطة، وعدم الندامة، ومَلَكَ السلامة»[٦٩].

ولا تكون الصراحة مطلوبة في كل المواقف ولا مستحبة في بعض الأحيان، وإنما تقدر مواقف الصراحة وظروف قولها ومن يقولها ومن تقال له بقدر الحاجة إليها ومناسبة قولها.

الصدق والصراحة:

الصدق - وكذلك الصراحة - لا تراد لذاتها، بل للدلالة على الحق والدعاء إليه. فلا يُنظر إلى صورتها بل إلى معناها. وقد كان رسول الله ﷺ في غزواته إذا توجّه إلى مكان ورّى بغيره، لئلا ينتهي الخبر إلى الأعداء فيقصد. وقد رخّص ﷺ في النطق على وفق المصلحة في ثلاثة مواضع: «مَنْ أصلَحَ بين اثنين، وكان له زوجتان، ومن كان في مصالح الحرب».

---

[٦٨] الحصري القيرواني: المصون، ص١١٣.

[٦٩] المصدر السابق، ص ١٦١.

www.mtenback.com

فليست الصراحة مطلوبة في كل وقت. وهذا زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي يقول:

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيْرَةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأْ بِمَنْسِمِ

ويقول المتنبي:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

إن وضع الصراحة في غير موضعها لحماقة تصيب صاحبها بالهلاك، أو تصيب شخصًا آخر، كالذي حدث لمالك الحزين في تلك القصة التي حكاها عبدالله بن المقفّع في كتاب «كليلة ودمنة» [٧٠] عندما رأى الحمامة كئيبة، حزينة، شديدة الهم، فقال لها: ما لي أراكِ كاسفة اللون سيئة الحال؟

فقالت له: يا مالك الحزين، إن ثعلبًا دهيت به، كلما كان لي فرخان جاءني يهددني ويصيح في أصل النخلة، فأفرق منه فأطرح إليه فرخيّ.

فقال لها مالك الحزين: إذا أتاك ليفعل ما تقولين، فقولي له: لا ألقي إليك فرخيّ، فَارْقَ إليَّ، وغَرِّر بنفسك، فإذا فعلت ذلك وأكلت فرخي، طرت عنك ونجوت بنفسي. فلما أتى إليها الثعلب قالت له كما علّمها مالك الحزين، ولم تطرح إليه فرخها. فما كان من الثعلب الماكر إلا أن سألها: أخبريني، من علّمك هذا؟ قالت: علمني مالك الحزين.

وكانت هذه الصراحة من الحمامة سببًا في هلاك مالك الحزين، فقد ذهب إليه الثعلب على شاطىء النهر، ودار بينهما الحوار التالي:

قال له الثعلب: يا مالك الحزين، إذا أتتك الريح عن يمينك فأين تجعل رأسك؟

قال مالك الحزين: عن شمالي.

---

[٧٠] ابن المقفع، عبد الله: كليلة ودمنة، مكتبة مصر بالفجالة، القاهرة (د.ت)، ص٢٥٠ -٢٥١.

www.mtenback.com

قال الثعلب: فإذا أتتك عن شمالك، فأين تجعل رأسك؟

قال: أجعله عن يميني أو خلفي.

قال الثعلب: فإذا أتتك الريح من كل مكان وكل ناحية فأين تجعله؟

قال مالك الحزين: أجعله تحت جناحي.

قال الثعلب: وكيف تستطيع أن تجعله تحت جناحك؟ فأدخل مالك الحزين رأسه تحت جناحه، فوثب عليه الثعلب فقتله، ثم قال:

يا عدو نفسه، ترى الرأي للحمامة، وتعلّمها الحيلة لنفسها، وتعجز عن ذلك لنفسك، حتى يستمكن منك عدوك، ثم أجهز عليه وأكله.

ومن هذا القبيل ماذكره ابن حزم عن أحمد بن مغيث الذي قتل بسبب تغزله بإحدى بنات الخلفاء. كما تم استئصال آل مغيث كلهم لهذا السبب، فلم يبق منهم إلا الشريد الهارب [٧١].

مميزات الصراحة:

من المميزات النفسية للصراحة مايلي [٧٢]:

تحقيق البناء النفسي السليم:

من الحقائق النفسية المعروفة، أن تطابق السلوك الخارجي للشخص مع دخيلته النفسية، يؤدي إلى تمتعه بالصحة النفسية الجيدة. بينما يؤدي الاختلاف بين دخيلة المرء النفسية وسلوكه، إلى تعريضه للإصابة بالتوترات النفسية، التي تفضي إلى إصابته بالانحرافات المتباينة. فالصراحة تتواكب مع الصحة النفسية، وتحمي المرء من العقد التي يمكن أن تنجم عن كبت الرغبات، وعدم الإفصاح عما يختلج داخل النفس من أفكار ومشاعر.

---

[٧١] ابن حزم: طوق الحمامة، ص ١٦١.

[٧٢] أسعد: الصراحة مالها وما عليها، ص ١٥.

www.mtenback.com

ولا شك أن القسوة والإرهاب والاستبداد الذي يمارسه بعض أولياء الأمور والآباء على صغارهم وأطفالهم في المراحل الأولى من حياتهم، يولّد لديهم الكثير من مشاعر الخوف والفزع وربما الكره والبغض لآبائهم،كما يربي فيهم التعوّد على كبت مشاعرهم تجاه الآخرين، الأمر الذي قد يؤدي بهم إلى الإصابة بأمراض نفسية خطيرة. فالذي ينشأ في جو قهري يكتسب شخصية مهزوزة مريضة نفسيًا، مصابة بداء السلبية والانهزامية تتصف بالغباء والكسل والتخلّف العقلي وعدم الرغبة في إحراز أي نجاح في حياتها العملية أو العائلية. وأظهر كل ذلك المراوغة في الحديث وعدم الصراحة بما في نفس المرء وخوفه وخجله ممن حوله.

من جهة أخرى، فإن هذا القهر الذي ينشأ فيه الصبي، يمكن أن يحيله في المستقبل إلى شخصية شريرة مدمرة، لديها رغبة مكبوتة في الانتقام من أولئك الأشرار الكبار الذي حاولوا تدمير مجتمعاتهم وهدم كياناتها نتيجة كبت رهيب راسخ في نفوسهم منذ الصغر. فنقرأ في التاريخ عن الإمبراطور الروماني نيرون، والزعيم الروسي ستالين، وهتلر، وغيرهم من الطغاة الأشرار الذين أسالوا بحورًا من دماء البشر وأزهقوا أرواح الملايين منهم، وكان كل ذلك نتيجة نشأتهم في بيئات يسيطر عليها القهر والكبت والاستبداد والخوف والحرمان من التعبير عن خلجات النفس ومعتقدات المرء وأفكاره بوضوح وصراحة ظاهرة.

الدفع باتجاه الإبداع:

تنطوي الصراحة في كثير من الأحيان، على مناهضة الأوضاع القائمة، وعلى نقد الآخرين، سواء في تفكيرهم أو عواطفهم أو ما يأتونه من تصرفات. فهي - في كثير من مظاهرها - ثورة ضد النمطية. ومتى ما بدأ المرء في انتقاد النمطية التي تعمل على صب الناس في قوالب مُعدَّة لهم من قبل، فإنه يكون بذلك قد أخذ الخطوة الأولى في طريق الإبداع[٧٣].

---

[٧٣] أسعد: الصراحة مالها وما عليها، ص ١٦.

www.mtenback.com

فالحياة نفسها تتميز بالتجدد والنمو، والتغير، والتبدل من حال إلى حال. والأشياء من حولنا تنبئ بأن الزمان يجري وأن كل يوم جديد يأتي بأشياء جديدة. أشياء تختفي وتظهر أخرى، ناس تموت ويولد آخرون. وكل شيء من حولنا يتغيّر ويتبدّل مثل الليل والنهار. فلا نهار دائم، ولا ليل دائم، ومثل فصول السنة: صيف، ثم خريف، ثم شتاء، ثم ربيع، وهكذا دواليك تباعًا.

ومع حركة التغير المتتابعة والمتواترة يتغير الكثير من الصور والمشاهد بما في ذلك مظاهر السلوك والعادات.

يقول الشاعر الحكيم أبو العلاء المعري[٧٤]:

نَقْضِي الْمَآرِبَ وَالسّاعَاتُ سَاعِيَةٌ كَأَنّهُنّ صِعَابٌ تَحْتَنَا ذُلُلُ

وَقْتٌ يَمُرُّ وَأَقْدَارٌ مُسَبَّبَةٌ مِنْهَا الصَّغِيرُ وَمِنْهَا الْفَادِحُ الْجَلَلُ

فالتحول والتغير هو شأن الحياة، والإنسان الصريح عندما يصف الأشياء على حقيقتها فإنه يكون صادقًا مع نفسه ومع الناس. ويكون ظاهره كباطنه. وهنا يمكن له - بعد التأمل والتفكّر - أن يرى كل يوم جديدًا في حياته وهذه هي الخطوة الأولى في مسيرة الإبداع، لأن الإنسان عندما يدرك أن الحياة متجددة فإنه يعمل على التجدد والابتكار والإبداع في سائر أعماله، وفي مجال تخصصه، ويبتعد عن تقليد غيره، بل يكون حريصًا على تحقيق ذاته بعمل ما يتميز به.

تعزيز الثقة بالنفس:

إنّ مَنْ يعبّر عن دخيلته، بغير مواربة أو خوف أو اصطناع، ويكشف عن خلجاته الذهنية والوجدانية، بغير تهيّب أو تعديل، فهو بلاشك متمتعٌ بالثقة بالنفس، فيما ينحو إليه، ويأخذ به، ويبديه من سلوك، وفيما يقيمه من علاقات مع الآخرين[٧٥].

---

[٧٤] أبو العلاء المعري: اللزوميات، تحقيق: عزيز أفندي زند، القاهرة، د.ت، ٢، ص١٧٤.

[٧٥] أسعد: الصراحة مالها وما عليها: ص ١٧.

www.mtenback.com

فهذه هي الشخصية السوية الواضحة المستقيمة في أقوالها وأفعالها وسلوكها في مجتمعها. وإذا كان السلوك السيئ يُعْدي فكذلك السلوك السوي يُعْدي، ومادام الشخص الصريح يتحلى بالثقة بالنفس فإنه يؤثر فيمن حوله بسلوكه وأفعاله. والمجتمع الذي يتمتع أبناؤه بالثقة بالنفس هو مجتمع ناجح متقدم، قادر على مواجهة مشكلاته وحلها وقادر على التغلب على ما يطرأ عليه من أزمات. وهو مجتمع حر منفتح، وفي الوقت نفسه متماسك وقوي وراسخ الأساس طويل البنيان. والرسول الكريم يقول: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[٧٦]، ويقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٧٧].

والثقة الحقيقية بالنفس تنبع أساسًا من الثقة بالله سبحانه فمن خشي الله واتقاه لم يخش أحدًا بعده. وقال أحد الملوك لعابد: ألا تذكرني أبدًا؟ قال العابد: بلى، كلما نسيتُ الله[٧٨].

وسأل أحد الملوك الظالمين ناسكًا: أية عبادة أفضل من كل العبادات؟ قال الناسك: نومك وقت الظهيرة حتى لا تؤذي الخلق في تلك اللحظة.

الصراحة شاهد على استطاعة الرفض:

قوة الشخصية تمنح صاحبها حرية التصرف والاختيار، فتعطيه بذلك القدرة على رفض ورد ما لا يرتضيه. وهي بذلك شفيع الصراحة. وتتبدى قوة الشخصية في اتجاهين: أحدهما إيجابي، والآخر سلبي. وتتبدى الصراحة بدورها في سلوك المرء الصريح في ضوء هذين الاتجاهين، فهو يقبل ما يرى أنه خليق بالقبول ويرفض ما يرى أنه خليق بالرفض. فلا تقتصر الصراحة على الكلام، بل تمتد لتشمل أشكال السلوك

---

[٧٦] البخاري: كتاب الصلاة، ٨٨، والأدب ٣٦.

[٧٧] سورة الحجرات: ١٠.

[٧٨] يوسف ميخائيل أسعد: الصراحة مالها وما عليها، ص ١٢٥.

www.mtenback.com

كلها، من فكر ومشاعر وجدانية وانفعالات وتصرفات، والتعبير عنها بما يلائمها ويفصح عنها بغير مواربة أو تزويق»[٧٩]. والجرأة في الإفصاح عما في داخل النفس بصراحة واضحة.

ومن خير ما يصور لنا ذلك، قصة «عمرو بن كلثوم» سيد بني تغلب وبطلهم في الجاهلية، مع «عمرو بن هند» أمير الحيرة؛ فقد قصّ الرواة أن الأمير أرسل إلى عمرو بن كلثوم يدعوه لزيارته، فأقبل عمرو في جماعة من تغلب، ومعهم أمه «ليلى بنت مهلهل». وأمر عمرو بن هند برواق ضُرب لعمرو وأمه وقومه فيما بين الحيرة والفرات، وأرسل إلى وجوه أهل إمارته وكبارهم، فحضروا. ودخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه، ودخلت أمه على هند في جانب من الرواق، فرحبت بها، وكان بجوارها أطباق وطرف كثيرة، ولم تلبث أن قالت لليلى أم عمرو بن كلثوم: ناوليني يا ليلى ذلك الطبق، مشيرة إليه. فقالت لها ليلى: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها. فأعادت عليها وكررت وألحّت. فصاحت ليلى: وا ذُلّاه يا لتغلب فسمعها ابنها عمرو بن كلثوم، فثار الدم في وجهه. وكان بالرواق سيف معلّق فوثب إليه، وضرب به رأس ابن هند ضربة قاتلة، ونادى في أمه ومن معه من قومه، وعادوا إلى ديارهم. وقد نظم عمرو بن كلثوم في هذه الحادثة معلقته النونية المشهورة، وصوّر فيها ما حدث معبّرًا في صراحة ووضوح وسهولة وبيان ناصع جميل مشاعر الإباء والعزة والكرامة التي كان يتحلّى بها الإنسان العربي منذ أقدم العصور. يقول عمرو ابن كلثوم[٨٠]:

أَبَا هِنْدٍ فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْنَا ... وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ الْيَقِينَا

بِأَنَّا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضًا ... وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا

---

[٧٩] أسعد: الصراحة مالها وما عليها، ص ١٧، ١٨.

[٨٠] السقا، مصطفى: مختار الشعر الجاهلي، القاهرة، البابي الحلبي، د.ت، ١، ص١١٢، ١١٣.

www.mtenback.com

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِيْنَا
إِذَا بَلَغَ الرَّضِيْعُ لَنَا فِطَامًا تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِيْنَا
وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدَرًا وَطِيْنَا

إن الاعتداد بالنفس والكرامة والتحدي عند الضرورة ضرب من ضروب الصراحة التي يتطلبها الأمر في بعض المواقف وفي بعض الظروف الحرجة كهذا الظرف الذي مر به عمرو بن كلثوم فلم يجد بدًا من المواجهة بالفعل ثم الصراحة بالقول وقد ذهبت القرون و لم تذهب فضيلة الصراحة التي أيدتها الشجاعة والرأي الحازم حين يراد ذل الإنسان وهوانه فيمتنع عن الهوان والذل والامتناع عن الهوان والذل هو خلق العربي الصميم.

وقد كان «عنترة بن شداد» فارس بني عبس في الجاهلية لا يتحلى بالشجاعة والإقدام في الحرب والبلاء العظيم في المعارك فحسب، بل كان يتحلّى أيضًا بالبطولة النفسية والخلقية، ويعبر عن ذلك بصراحة وصدق وأمانة وقوة، وهو يعلن حبه لابنة عمه «عبلة بنت مالك». ويقول في معلقته الجميلة[٨١]:

أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتِ فَإِنَّنِي سَمْحٌ مُخَالَقَتِي إِذَا لَمْ أُظْلَمِ
فَإِذَا ظُلِمْتُ فَإِنَّ ظُلْمِي بَاسِلٌ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ كَطَعْمِ الْعَلْقَمِ
هَلاَّ سَأَلْتِ الْقَوْمَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الْوَقَائِعَ أَنَّنِي أَغْشَى الْوَغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

فهو يصور نفسه لعبلة أبيًّا لا يقبل الضيم ولا الظلم بأي حال من الأحوال، بل لا يطيقهما، فإن ظُلِمَ أصبح كالبركان الثائر، يرد على الظالم بظلم مرير لا يُبقي ولا

(٨١) السقا وآخرون: مختار الشعر الجاهلي – ١: ص ٨٧، ٨٨.

www.mtenback.com

يذر، وعرضه وشرفه دائمًا مصونان محميان، لا يستطيع أحد أن يمسهما بسوء، وكأنهما غيلان لأسد هصور. ودائمًا يسارع إلى المكارم والمحامد وكأنه الغيث كرمًا وجودًا، ويتوجه لصاحبته بالخطاب أن تسأل عنه الفرسان والأقران ليحدثوها عن شمائله وشيمه الرفيعة، وكيف أنه يقتحم المعارك ويَصْلَى نارها مطيحًا برؤوس الشجعان كأنه القضاء النازل، حتى إذا أخذت كتيبته تجمع الغنائم والأسلاب كفّ وأحجم، عفة نفس، وعزة وكبرياء، فهو لا يحارب من أجل الغنائم، وإنما يحارب من أجل المجد الحربي والشرف الرفيع. ولا تتأتى هذه الخصال إلا لمن يواجهون أنفسهم بكل صراحة وصدق وأمانة، ويعرفون أن الموت هو نهاية كل حي. وهنا تظهر معادن الناس وتتكشف حقيقة كل إنسان في هذه المواجهة؛ وفي ذلك يقول المتنبي[٨٢]:

أَرَى كُلَّنَا يَبْغِي الْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ ... حَرِيْصًا عَلَيْهَا مُسْتَهَامًا بِهَا صَبّا

فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى ... وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الْحَرْبَا

وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ والفِعْلُ وَاحِدٌ ... إِلَى أَنْ تَرَى إِحْسَانَ هَذَا لِذَا ذَنْبَا

وقد واجه «قطريُّ بن الفجاءة المازني» نفسه في صراحة شديدة، إذ يقول[٨٣]:

أَقُوْلُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا ... مِنَ الأَبْطَالِ وَيْحَكِ لَنْ تُرَاعِي

فَإِنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ ... عَلَى الأَجَلِ الَّذِي لَكِ لَنْ تُطَاعِي

سَبِيْلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ ... فَدَاعِيْهِ لأَهْلِ الأَرْضِ دَاعِي

وَمَنْ لا يُعْتَبَطْ يَسْأَمْ وَيَهْرَمْ ... وَتُسْلِمُهُ الْمَنُوْنُ إِلَى انْقِطَاعِ

---

[٨٢] المتنبي: ديوانه، ص ٣٨.

[٨٣] شوقي ضيف: البطولة في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، (١٩٨٤م)، ص ٥٥.

www.mtenback.com

الصراحة تناهض النفاق:

الشخص الصريح، يعبّر عن دخيلته كما هي، دون تزويق أو تلوين، ودون ممالأة أو مجاملة للآخرين. فالصراحة هي الصدق بعينه، وهي الوضوح وعدم الالتواء، والشخص الصريح هو الذي يعبر عن نفسه في المواقف التي تستدعي الصراحة بصدق ودون خوف أو مواربة[٨٤].

وكثيرًا ما لقي أصحاب هذا اللون من الصراحة حربًا شعواء من كثيرين حولهم، لأن الشخص الصريح يفضح دسائس الخبثاء، ومؤامرات الخونة، وأطماع أصحاب المصالح الخاصة وذوي الأغراض الدنيئة الذين يستغلون الناس ظلمًا دون وازع من ضمير أو خلق.

فالصراحة هي طوق النجاة الحقيقي للمجتمع من شرور المنافقين الذين يتربصون به وينخرون فيه كالسوس. وهي مناهضة للنفاق الذي ذمه القرآن الكريم ووصف به أولئك الذين يُظهرون الإيمان ويُضمرون الكفر. وقد حارب الله ورسوله النفاق والمنافقين، وفضحهم القرآن في كثير من آياته الدامغة.

ولا شك أن النفاق داء وبيل، والصراحة ضد النفاق، وهي لذلك من مكارم الأخلاق التي يتحلى بها العربي في كل وقت، فهي تبني ولا تهدم، وتعمل على الحفاظ على كيان المجتمع من التدهور أو الانهيار، لأنها السبيل الوحيد والعلاج الناجع لكل الظواهر والأوضاع الفاسدة في المجتمع. فإذا كان الكذب والنفاق هما الظلمة الحالكة والهلاك الحائق فإن الصراحة والوضوح والكشف والعلانية هي النور وطوق النجاة للمجتمع الذي يريد أن يرى الأمور كما هي.

---

[٨٤] ميخائيل أسعد: الصراحة مالها وما عليها: ص ١٦.

www.mtenback.com

لقد أدان القرآن الكريم أولئك الذين لا يتحلّون بالصراحة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[٨٥].

وقال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾[٨٦].

يتضح موقف الإسلام من الصراحة، ومن نقيضها. وما دامت الصراحة قيمة أخلاقية إيجابية، وصالحة دائمًا، ونافعة للفرد وللمجتمع، فلا بد من الحرص عليها والتمسك بها والتشجيع عليها وغرسها في نفوس أبنائنا منذ الصغر حتى يشبوا محبّين للصراحة، كارهين للرياء والنفاق عارفين حق مجتمعهم عليهم وحقهم على المجتمع الذي يعيشون فيه.

الصراحة والتربية:

يؤكد علماء النفس على أهمية تنشئة الصغار من الجنسين على الصراحة وتعويدهم عليها. كما يؤكدون مسؤولية المجتمع ودوره في إبراز إيجابيات السلوك الصريح في الحياة العامة والخاصة، ليعتاد النشء على الوضوح والشفافية في أعمالهم وتصرفاتهم، وليدركوا قيمة البيان الصادق البعيد عن الالتواء والتدليس. ومن أهم الأمور التي يدعو إليها النفسيون لتحقيق مثل هذه الإيجابيات السلوكية ما يتعلق

---

[٨٥] سورة البقرة: الآيات ٨-٩-١٠.

[٨٦] سورة التوبة: الآية ٦٤.

www.mtenback.com

بوظيفة الوالدين التربوية والتوجيهية نحو أولادهما، حيث يجب عليهما أن يفسحا مجالاً للأطفال للتعبير عن ذواتهم والإفصاح عن دواخلهم، حتى وإن تضمن كلامهم بعض الأخطاء، فالصبر عليها خير من لجمهم وقمعهم، وتخطئتهم والاعتراض على أفكارهم. مع أنه من واجبهما أحيانًا استخدام سلطة البت والحكم بما يجب الأخذ به في بعض المواقف التي تتطلب التوجيه والتدخل، إلا أن هذا لا ينفي أهمية السماح للأطفال بإعلان آرائهم الشخصية، وتشجيعهم على الصراحة لما يحققه ذلك من تكوين شخصيات صريحة وشجاعة، مفعمة بالثقة والرغبة في المشاركة في اتخاذ القرارات.

أما عامة الناس مثل الطلاب والزملاء وأصحاب الاهتمامات العامة والخاصة فإن إتاحة الفرصة لهم لعقد المناظرات حول بعض القضايا والموضوعات التي تلقى اهتمامًا لديهم يتيح أمامهم فرصًا للمناقشة الحرة فيما يحبون الحديث عنه. وأهم هذه الفئات التي يجب أن تشارك بصراحة هم الطلاب في كل المستويات خصوصاً ما يتعلق بشؤون التعليم نفسه، وما يتبعه المدرسون من طرائق التدريس، فإن ذلك يعمل على تكوين العقليات التي تتمتع بالقدرة على الاختيار، من بين الخيارات الكثيرة المتوافرة من واقع الحياة[٨٧].

فذلك يعطي الناشئ المقدرة على التقويم ويمنحه الرؤية النقدية للأمور ويجعله قادراً على مواجهة الواقع بجرأة وشجاعة وجسارة. ليس هذا فحسب، بل إنه يدرب الناشئ على تبني المواقف والدفاع عنها عن صدق وقناعة.

يقول أحمد شوقي:

قِفْ دَوْنَ رَأْيِكَ فِي الْحَيَاةِ مُجَاهِدًا إِنَّ الْحَيَاةَ عَقِيْدَةٌ وَجِهَادُ

---

[٨٧] يوسف ميخائيل أسعد: الصراحة مالها وما عليها، ص ٢١.

www.mtenback.com

الواقع أن التربية التي تعتمد على التلقين، أو بتعبير أدقّ، على صب الناشئة في قوالب معدَّة لهم من قبل، هي تربية تحارب الصراحة، وتطمس معالم الشخصية، وتمنع استغلال الاستعدادات والإمكانات الفطرية وإخراجها من حيز الكمون إلى حيز الواقع السلوكي الملموس. لكن التربية التي تضع في اعتبارها الفروق الفردية بين الأشخاص، وتعتبر كل متعلم وحدة قائمة بذاتها، فإنها لا تنتج نسخًا مكررة، بل تعتبر كل شخص (نسيج وحده)، وتسمح له بالتعبير عن نفسه بصراحة وانطلاق، دون إلجامٍ أو تقييد، ودون صبّه في قالب مُعَدٍّ له من قبل [٨٨]. قال الشاعر:

وَتَحْسَبُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيْرٌ وَفِيْكَ انْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ

من الواجب أن يتم تدريب الناشئة على المهارات الذهنية والمهارات التعبيرية الشفوية والتحريرية والمهارات الحركية عن طريق استخدام التقنيات والوسائل التعليمية، كما ينبغي الاهتمام أيضًا بتنمية المهارات الاجتماعية بدلاً من حَشْوِ ذاكرة التلاميذ بالمعلومات عن طريق الحفظ والترديد غير الواعي وغير الحر. فالمدرسة بجميع مسمياتها ومستوياتها، يجب أن تقوم بمساعدة الناشئة على التعبير عن استعداداتهم ومواهبهم في الواقع الاجتماعي، وأن تتجه إلى تمكين التلاميذ والطلاب من ممارسة الحياة منذ طفولتهم، وتدريبهم على الصراحة فيما يسلكون؛ فالصراحة هي التعبير الصحيح والصادق عن ذاتية المرء، الذي لا يقتصر نطاقه على الحديث المنطوق بل يتعداه إلى سائر أنماط العلاقات اليومية [٨٩].

---

[٨٨] يوسف ميخائيل أسعد: الصراحة ما لها وما عليها، ص٢١.

[٨٩] المصدر السابق: ص٢٢، ٢٣.

www.mtenback.com

الخصائص النفسية للشخص الصريح:

يمكن تحديد الخصائص النفسية للشخص الصريح، حسبما رصدها وسجّلها علماء النفس[٩٠]، فيما يلي:

الشخص الصريح، يؤمن إيمانًا قاطعًا، بأن الصراحة مبدأ مطلق، غير مشروط بشرط المكان، أو شرط الزمان. فكما أن الكل يساوي مجموع أجزائه، كذلك فإن الصدق الذي يلتزم به الشخص الصريح، لا يقبل المساومة، أو التعديل، أو الحذف، أو الإضافة. فالصدق صدق والكذب كذب. ومن ينحرف عن الصراحة، فقد حاد عن الصواب وأصاب شخصيته بالأذى، وابتعد عن الحقيقة الموضوعية، التي ينبغي الاستمساك بها، وعدم التنازل عنها، مهما كانت الظروف والأحوال.

ومن الطبيعي أن يبدو الإفراط في الحماس كأنه نوع من الغلو الصادر عن حسن النية في القول والفعل لأن الصريح إذا اعتقد بصحة سلوك ما فإنه يعلنه غير عابئ بالعواقب والاعتراضات.

ولعل الصورة التي رسمها لنا المتنبي في الأبيات التالية، تُعَد نموذجًا للصراحة الفجّة التي غالبًا ما تقترن بفورة الشباب، وقد تورد صاحبها الهلاك، يقول المتنبي[٩١]:

أَرَى أُنَاسًا وَمَحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ ... وَذِكْرُ جُودٍ وَمَحْصُولِي عَلَى الكَلِمِ

سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ ... وَيَنْجَلِي خَبَرِي عَنْ صِمَّةِ الصَّمَمِ

لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لاَتَ مَصْطَبَرٍ ... فَالآنَ أَقْحَمُ حَتَّى لاتَ مُقْتَحَمِ

بِكُلِّ مُنْصَلِتٍ مَازَالَ مُنْتَظِرِي ... حَتَّى أَدَلْتُ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ الْخَدَمِ

---

[٩٠] أسعد: الصراحة مالها وما عليها: ص ٢٥.

[٩١] المتنبي: ص ٣٤٤، ٣٤٥.

www.mtenback.com

شَيْخٌ يَرى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ نَافِلَـــةً وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فِـــي الْحَـرَمِ

فهو يرى صورة لأناس لكنهم عند التحصيل لا يساوون شيئًا لضعف عقولهم، كما أنه يسمع ذكر الجود ولكنه لا يحصل منه إلا القول دون الفعال، وهو يمدح نفسه بأنه إذا قصد الحرب مضى مضاء السيف، وأنه يورد نفسه المهالك، وسوف يترك الحرب قائمة على كل من خرج على السلطان، بسيف ماض وهمة لا تعرف الانثناء، وهذا التزام من الشاعر بهذا الموقف لم يلزمه به أحد، لكن الخبرة العميقة بالحياة تكشف لصاحبها أن الصراحة نسبية.

ليس من عادة الشخص الصريح أن يفكر في عواقب الصراحة ومايترتب عليها من نتائج. فهو لا يلتزم بها لجلب فائدة، أو لدفع ضرر، أو لمنع خطر محدق، بل يتحرّاها لوجه الحق والحقيقة، وليس لما يمكن أن يترتب عليها من نتائج خيِّرة أو شريرة.

وهنا تكون الصراحة هدفًا لذاتها وليست وسيلة، وتكون لدى صاحبها طبعًا لا يمكن له أن يحيد عنه في كل وقت وفي كل موقف، صغيرًا كان أو كبيرًا، مُهِّمًا كان أو حقيرًا. وما دامت الصراحة طبعًا في صاحبها فهي حينئذٍ سلوك راسخ لا يمكن تغييره أو تعديله، كما يقول حاتم الطائي[٩٢]:

ومن يبتدع ماليس من خَيْمِ نفسه يَدَعْهُ وتَرْجِعْهُ إليه الرواجع

ومثله يقول الأعور الشَّنّي[٩٣]:

وَمَنْ يَقْتَرِفْ خُلْقًا سِوى خُلْقِ نَفْسِهِ يَدَعْهُ وتَغْلِبْهُ عليه الطَّبَائِعُ

وأَدْوَمُ أَخْلاقِ الفَتَى مانَشَا بِهِ وَأَقْصَرُ أَفْعَالِ الرِّجَالِ البَدَائِعُ

---

[٩٢] حاتم بن عبد الله الطائي: شعره وأخباره، صنعة يحيى بن مُدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق: الدكتور عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة (د.ت) ص ٣٠١.

[٩٣] البرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ج٢، ص١٢٠.

www.mtenback.com

ومهما تكن النتائج المترتبة على الصراحة في القول، فإن الشخص الصريح لا يمكن أن يتنازل عن صراحته، لأنه ينظر إلى الحياة على أنها كتاب مفتوح يقرؤه كل إنسان ومادامت الحياة كتابًا مفتوحًا وهو بشخصه سطْرٌ أو كلمةٌ في هذا الكتاب، والناس من حوله سطور أو كلماتٌ أخرى فإنه يرى أن من حقه أن يقرأ كل شيء في هذا الكتاب، كما أن لغيره الحق في أن يطلع على حقيقة الأمور حتى وإن كانت ذات خصوصية من خصوصياته.

هذا النوع من الأشخاص الصرحاء لا يعترفون بأن هناك أسرارًا لا يجوز الاطلاع عليها، وإذا أقرّ بأن هناك أسرارًا فإنه لا يعترف بأنه يجب حفظها، بل يعتقد بوجوب إفشائها والكشف عنها لتكون في متناول سمع وبصر كل الناس.

كما يرى أيضًا أنه مهما كان في إفشاء الأسرار من جلب للمتاعب وربما للحوادث المؤلمة والنتائج الضارة، فإنه لا يحيد عن اعتقاده في صحة الصراحة وسلامتها، وهذا خطأ وخلط بين الصراحة وإفشاء الأسرار، إذ إن لكل منهما حدوده، ولكل منهما موضوعه ومكانته.

إلا أن بعض من يرى أن لا ضوابط للصراحة، لا يعبأ برأي الناس ؛ فسواء مدحه الناس أو ذمُّوه بسبب صراحته المطلقة، فإنه لا يقيم وزنًا لذلك كما لا يهمه موقفهم من صراحته. فهو في صراحته يستهدي بمبدأ مطلق لا يلين، ولا يقبل تغيير رأيه ولا المساومة فيه، فمن رضي صراحته على ماهي عليه فبها ونعمت، وعليه أن يكون صريحًا هو الآخر، وإلاّ فكل إنسان حر في سلوكه وطِباعه التي جُبِلَ عليها[٩٤].

فالصراحة من هذا المنطلق إخلاص للمبدأ والتزام به، والصريح بهذا المعنى يرى أنه يؤدي خدمة عامة للناس، ويريح ضميره بكشف الحقائق لمن يريد أن ينتفع بها. لأن الصراحة عنده أساس كل شيء في الحياة، وإذا لم تُبْنَ العلاقات الإنسانية والاجتماعية

---

[٩٤] أسعد: الصراحة مالها وماعليها، ص٢٦.

www.mtenback.com

على الصراحة، فقل: عَلَى الدنيا السلام! فلا بديل للصراحة عنده سوى الكذب والغش والخداع. ومن هنا يجب أن تكون الصراحة شعارًا يلتزم به الجميع لأنها في نظره قيمة أخلاقية عليا، وشمس مضيئة تنير لنا سبل الحياة.

هذا النوع من الصراحة وإن كان دافعه الصدق وحبّ الوضوح في الرؤية ونبذ النفاق والتخلص من الرياء ونحوه في المعاملات، إلا أنه يجلب لصاحبه مشكلات تتمثل في صعوبة التعامل معه في مجتمع تختلط فيه مستويات التعامل، ويشتمل على الحسن والقبيح من الأفعال والأقوال، ويصبح أفراده يحسنون التعامل مع هذه المتغيرات فيغضون الطرف عن بعضها، ويحتملون بعضها الآخر، ويتجاوزون عن الضغائن، ولا يثورون إلا لما لا يطيقون تحمله، وهذا قليل وفي أضيق الأحوال، وصدق الشاعر حين قال:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى القَذَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُه

وكذلك قول الآخر:

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لا تَلُمُّه عَلى شَعَثٍ، أَيُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ؟

وقول الآخر:

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا؟ كَفَى المرءَ نُبْلاً أن تُعَدَّ مَعَايِبُهْ

الصراحة تعبير عن دخيلة المرء، يكشف معدنه ويظهره بجلاء أمام الناس، وقد لا يجرؤ أحد على خداعه أو مجاملته. وقد تسبب لصاحبها الكثير من المشكلات مع من حوله ممن لا يقبلون ما يأتي به من فنون الصراحة في الأفعال أو الأقوال أو الرأي في الناس. هذا النوع يرفضون ما نسميه اليوم مجاملة، ويمقتون المجاملين الذين يسعون إلى إرضاء الآخرين؛ ويُخضعون أفكارهم وعواطفهم وإراداتهم لمبدأ الصراحة، كما يرون الشخص الصريح حاكمًا سلوكه متحكمًا فيه، أو هو على أقل الأحوال يُخضع الخارج للداخل، ويجعل من أفكاره وانطباعاته الوجدانية وإرادته الذاتية، الفيصل الأول والأخير

www.mtenback.com

الذي يتأتى عنه سلوكه، ويتصرف وحده فيه، وتصدر عنه أقواله وتوجهاته وعلاقاته، وكل ما ينبع من دخيلته الذاتية المستقلة عن الآخرين[٩٥].

ولعل النموذج الممثل لهذا المنزع في الصراحة المتضافرة مع حرية الإرادة، هو الشاعر الحكيم أبو العلاء المعري. إنّ مَن يقرأ ديوانه «اللزوميات» يجد شاعرًا يحاكم نفسه ويفضح نقائصها وعيوبها، ويحاكم الناس والمجتمع والعصر، في صراحة يحاول أن يصل بها إلى درجة الإطلاق. انظر إلى قوله [٩٦]:

دُعِيْتُ أَبَا الْعَلاَء وَذَاكَ مَيْنٌ ... وَلَكِنَّ الصَّحِيْحَ أَبُو النُّزُولِ

وقوله محاكمًا نفسه وأفراد مجتمعه المتكالبين على حطام الدنيا[٩٧]:

كِلاَبٌ تَعَاوَتْ أَوْ تَهَاوَتْ لِجِيْفَةٍ ... وَأَحْسَبُنِي أَصْبَحْتُ أَلأَمَهَا كَلْبَا

الصريح لا يُخْضع عقله لعقل غيره، ولا يحكّم في عواطفه إرادة الآخرين، ولا يماشي في تصرفاته تصرفات مَنْ هُم أقوى منه، أو أرجح عقلاً و حكمةً. فهو يفكر فيما يراه خليقًا بالتفكير، ويحب ويكره ما يحس بأنه جديرٌ به، ويتصرف بحسب ما يمليه رأيه الشخصي، دون أن يتأثر بما يأتيه غيره من تصرفات، أو يخضع لسلطة أصحاب السلطة.

الصريح نزاع بطبعه للاستقلال والتفرد. وما أكثر ما يعانيه من مصاعب حين تضطره الظروف أن يكون مرؤوسًا. فقد تكون صراحته سببًا في وصفه بالصلف والنفور وعدم الانسجام الاجتماعي، خاصة من قبل رؤسائه الذين يريدون إخضاع فكرة وعاطفته لهم لإحساسهم بأنهم أكثر منه علمًا وخبرة، وأكثر مالاً، وأعلى مقامًا.

---

[٩٥] أسعد: الصراحة مالها وما عليها، انظر: ص ٢٦، ٢٧.

[٩٦] أبو العلاء المعري: اللزوميات - ٢: ص ٢٣٢.

[٩٧] المصدر السابق - ١: ص ٧٤.

www.mtenback.com

وهنا لابد من صدام لا مفرّ منه بين هذا الشخص الصريح وبين كل من حوله حتى يصبح غريبًا بينهم، منبوذًا منهم، ينفرون منه ويبتعدون عنه لأنه صلب لا يلين، حادٌّ وقاطع وجارح، ومعتز دائمًا برأيه وبكرامته وبكبريائه فهو مصمم دائمًا على تنفيذ ما يراه صحيحًا، يعلن ذلك للجميع في كل وقت، ودون أن تفتّ في عضده مقاومة من حوله أو عداوتهم، لأنه يرى أن وضوح الرأي والمشاعر وإعلانها على الملأ دون مواربة أو مداراة، هو أكبر الفضائل والدليل القاطع على الطهارة النفسية ونقاء الضمير وسلامة القصد، حتى لو سبب ذلك إيذاء مشاعر بعض الناس أو إحساسهم بالحرج أو الإهانة أو الإساءة؛ فالحق أحق أن يُتّبع، والحقيقة يجب أن تُقَال وتنكشف بكل تفاصيلها الدقيقة مهما تكن مؤلمة وقاسية. ولا عذر لأحد - عند هذا النوع من الصرحاء - في إخفاء الحقيقة، إذ إن إعلانها واجب دائمًا بصرف النظر عن الظروف والمواقف والأشخاص والنتائج.

الصراحة باعتبارها سلوكًا إنسانيًا:

وقد حاول علماء النفس النظر في الصراحة وتحليلها بوصفها سلوكًا إنسانيًا[٩٨] من عدة زوايا:

فالصراحة يشترط فيها أن تكون مطابقة لما يحدث، وكذلك الكلام الصريح يجب أن يكون مطابقًا للواقع[٩٩]. فإذا سألك شخص بالهاتف: «هل أخوك موجود» وكان أخوك موجودًا بالفعل وقت الاتصال، فإن كنت صريحًا فستجيب: «إنه موجود». حتى وإن لم يرغب أخوك في الرد عليه.

هذا المثال قد يخرج عن دائرة الصراحة إلى غيرها، لأن الصراحة في الصدق، وإن كانت تجر إلى غير مرغوب، فإن ممارسة مثل هذا السلوك ينبغي ألا يدمن عليها الآباء

---

[٩٨] يوسف ميخائيل أسعد: الصراحة مالها وما عليها، انظر: ص، ٩.

[٩٩] المصدر السابق، ص، ٨.

www.mtenback.com

فيعلمون أبناءهم الصغار المرواغة والكذب، فالصغير لا يميز بين عدم الرغبة في الإجابة على هاتف مثلاً أو طارق للباب أو نحو ذلك، وبين الكذب، وقد يرى أن ارتكاب الكذب مباح؛ فيستمرئ ذلك بعد أن يقلده في بعض المواقف. ومع الزمن يجيد الحيلة ويصعب عندئذ تخليصه من ممارستها وسلبياتها.

حدود الصراحة:

ليست الصراحة بلا حدود، ومن الخطأ فهمها بشكل مطلق لايفرق بين المواقف ولا يعبأ بالنتائج. فلو سئل أحد عن أمر من الأمور المتعلقة بأحوال الناس أو معاشهم أو أسرارهم وهو يعلم شيئًا من ذلك فإن تصريحه بما يعلم خطأ فادح، بل هو ضد للصدق وللصراحة لأن الصراحة مكانها الرأي الشخصي المعبر عن الموقف الذاتي الذي يعده الإنسان من مقومات شخصيته. وليست إخبار الناس بما يعلم من أشياء قد لا ينفع العلم بها أحدًا، وقد يكون فيها إضرار بمصالح الآخرين وإساءة إليهم.

ولا شك أن هذا النوع من الصراحة ينمُّ عن انعدام وَعْيٍ وعن سذاجة مفرطة تسبب الهلاك لصاحبها والخراب الشامل لكل مكان يحلُّ به. وهو شيء كريه ممقوت، لأن الرسول ﷺ قال: «المؤمن كَيِّسٌ فَطِنٌ»، فلابد للمؤمن أن يكون يقظًا واعيًا ومدركًا لنتائج ما يصدر عنه من قول أو فعل.

فهناك الكثير من الأمور التي يجب حفظها وعدم التصريح بها. فأسرار الناس وأسرار العمل ودائع وأمانات يحض الخلق الكريم على حفظها وعدم إذاعتها. يضاف إلى ذلك أن كل إنسان مهما كانت درجته بحاجة إلى صديق يبثه شكواه، وينفث إليه همومه وأفراحه، ويفضي إليه بشيء من أسراره التي ربما ضاق بها صدره، وهذه فطرة في البشر، إلا أن العاقل من استطاع كتم سرّه، وجعله طيّ نفسه، وصبر على حمله وإن كان ثقيلاً، لكنه إذا احتاج إلى التنفيس عن مكنونه، فليودعه من يتوسم فيه كتمانه، لأنّ «من ارتاد لسره – أي بحث لسره عمن يودعه لديه – فقد أشاعه». وقال

www.mtenback.com

بعض الحكماء: «لا تُطلع واحدًا على سرِّك إلا بقدر ما تجد فيه بُدًّا من معـــاونتك»، وقال آخر: «إنَّ سِرَّك من دمك، فانظر أين تريقه».

ومما يروى في هذا الباب أن أبا إسحاق إبراهيم بن سيَّار النظام كان أضْيَقَ الناس صدرًا بحمل سِرٍّ، وكان شر ما يكون إذا أكدَّ عليه صاحب السر وطلب منه كتمانـــه، وربما كان إذا لم يؤكد عليه بذلك ينسى القصة فيَسْلَم صاحب السر من نشره.

وقيل يومًا لمزبِّد المديني: يامُزبِّد، ماهذا الذي تحت حضنك؟ فقال: يا أحمق، فلِمَ خبأته؟![١٠٠] فإذا كانت الصراحة تدعو صاحبها إلى الصدق والإبانة في مقام كمقـــام مزبّد، فإن حفظ السرّ يدعوه إلى حفظه وعدم الإفصاح عنه.

وللصراحة صلة بالجانب الوجداني في الشخص المتلبّس بها في كلامه وتصرفاته ومواقفه[١٠١]. إلا أنه لا ينْبَغي أن تكون الصراحة على حساب مشاعر الآخريـــن أو أن يكون فيها ما يجرح كرامتهم أو يخدش وجه العلاقة معهم. افترض أنك بعد تخرُّجك في إحدى الكليات، عُيِّنتَ في إحدى القُرى، فأقبل عليك أهل القرية يرحبون بك بمناســبة توليك وظيفتك الجديدة، وسألك أحدهم: «هل أنت راضٍ عن تعيينـــك بقريتنـــا»؟ فأجبته بقولك: «صراحة أنا لا أحب الحياة في الريف».

فهذا كلام ينم عن سذاجة وسطحية، ويبعد عن الحصافة والفطنة، فضلاً عن قلة الأدب والكياسة فيه. إن السائل يدرك سلفًا أن الحياة في القرية صعبة علـــى مـــن لم يعتدها، ويعلم سلفًا أنه لو تيسر لك العمل في المدينة لما وصلـــت إلى القريـــة، وهـــو متعاطف سلفًا معك، مقدرٌ لحالك، مترقب إجابة فيها شيء من المجاملة وإنكار الذات،

---

[١٠٠] عبدالسلام محمد هارون: تهذيب الحيوان للجاحظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٩٩٩م)، ص١٧٣، ١٧٤.

[١٠١] أسعد: الصراحة مالها وما عليها، ص١٠.

www.mtenback.com

لتعمق الرابطة معه، وتشعره بأهميته عندك، وتقرب المسافات بين المدينة وحياتها المعقدة والقرية بحياتها البسيطة النقية.

وإذا كانت الصراحة، وهي قول ما يعرفه الشخص الصريح عن نفسه وغيره، فالمتطفلون يجدون عند ذلك الشخص الصريح،كل مبتغاهم من الوقوف على أسراره الشخصية أو العائلية، التي يجب الحفاظ عليها[١٠٢]. والصراحة من هذا القبيل، تكشف الغطاء عن جميع الأسرار التي يفترض الحفاظ عليها بعيداً عن التداول. فالصريح بهذا المعنى، يسرد كل ما يعرفه وكل ما نما إلى علمه من أسرار أسرته وأقربائه وأصدقائه، بمجرد توجيه السؤال إليه دون تحفظ ودون تمييز بين ما يصحّ أن يقال، وبين ما يجب الحفاظ عليه بعيداً عن تطفل المتطفلين وفضول الأشرار.

وهذا النوع من الصراحة يدل على سفاهة صاحبه وقلة عقله وعدم إدراكه للعواقب، وما يمكن أن يسببه الحديث عن أموره الخاصة من أضرار.

وعلاج هذا النوع من الصراحة، يتأتى بتوعية صاحبه وإفهامه حقيقة أنه ليس كل ما يُعرف يمكن أن يقال.

وقد قال قيس بن الخطيم في هذا الغرض[١٠٣]:

وَإِنْ ضَيَّعَ الْإِخْوَانُ سِرًّا فَإِنَّنِي ... كَتُومٌ لأَسْرَارِ الْعَشِيرِ أَمِيْنُ

يَكُونُ لَهُ عِنْدِي إِذَا مَا ائْتَمَنْتُهُ ... مَكَانٌ بِسَوْدَاءِ الْفُؤَادِ مَكِيْنُ

وقال آخر[١٠٤]:

وَأَطْوِي السِّرَّ دُوْنَ النَّاسِ، إِنِّي ... لِمَا اسْتُوْدِعْتُ مِنْ سِرٍّ كَتُومُ

---

[١٠٢] أسعد: الصراحة مالها وما عليها: ص ١١.

[١٠٣] هارون: تهذيب الحيوان للجاحظ: ١٧٤.

[١٠٤] المصدر السابق: ص١٧٦.

www.mtenback.com

المعاني الفرعية للصراحة:

ومع أن الصراحة تعني دائمًا الوضوح والاستقامة والبيان من أقصر الطرق، فإنها تحمل – رغم ذلك – معاني فرعية تظهر في التعامل بين النـــاس.

وقد حاول الباحثون في علم النفس تحديد تلك المعاني الفرعية للصراحة؛ فممّـــا أحصَوه منها[١٠٥]:

فالصراحة، التي تسيء إلى شعور الآخرين وإن كان لا يقصد بها إيذاء مشـــاعر من يُوَّجه إليه الكلام ليست مطلوبة؛ فإذا كنت من الأغنياء، وجالست من هو أقـــل منك ثراءً، أو من هو فقير، فقلت له: «أنا أغنى منك»، فإنك تكون صريحًا لأن الواقع أنك أغنى منه، أو أنك غني وهو فقير لكن هذا القول غير لائق بمكانه.

ومثل ذلك إذا جالست شخصًا أقل منك علمًا في تخصصٍ ما، فعبَّرْتَ له عـــن ارتفاع منزلتك الثقافية أو العلمية، فإنك تكون صريحًا لكن صراحتـــك في الموقفـــين السابقين هي من قبيل النقد التجريحي وليست من قبيل الصراحة النقية، بل هي مـــن التعالي الممقوت، ولا يمارسها عاقل أريب.

وفي القرآن الكريم مَثَل لرجلـــين: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا . كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا . وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[١٠٦].

---

[١٠٥] أسعد: الصراحة مالها وما عليها، ص٥.

[١٠٦] سورة الكهف: الآيات ٣٢-٣٤.

www.mtenback.com

ولاشك أن هذا سلوك مرفوض ينفر منه كل ذي خلق وديـــن لأن النـــبي ﷺ حثّ على التواضع فقال: «من تواضع لله رفعه»[١٠٧].

ويقول تعالى على لسان «لقمان» لابنه وهو يعظه: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١٠٨]. ويقول تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[١٠٩].

لكن بعض المواقف تستدعي مثل هذا النوع من الصراحة، إذ يصبح ضـــرورة لابد منها؛ وذلك حتى لاتختلط الأمور ولا تلتبس الأفكار في أذهان الناس عن مقـــادير الأشياء ومنازل الناس. فالنبي الكريم ﷺ يقول في الحديث الشريف:

«أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، فهو ﷺ لا يفخر، وإنما يقرر حقيقة كونية ويبين للناس مقامه عند رب العالمين.

وإذا كان توضيح مقامات الناس وبيان أقدارهم ومنازلهم يُعَدُّ ضرورة ملحـــة، فقد انتبه إلى ذلك كثير من الفلاسفة والأدباء وغيرهم، وربما كان أبو الطيب المتنـــبي، يشير إلى هذا المعنى بوضوح عندما قال[١١٠]:

وَمَـــنْ جَهِلَـــتْ نَفْسُـــهُ قَـــدْرَهُ رَأَى غَـــيْرُهُ مِنْـــهُ مَـــا لاَ يَـــرَى

لكن المتنبي كان مبالغًا في صراحته حين عبر عنها في نفسه ورفع قـــدره فـــوق أقدار الناس؛ فقال في مجلس أميره سيف الدولة الحمداني[١١١]:

---

(١٠٧) رواه مسلم، كتاب البر، ٦٩، بلفظ: «ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».

(١٠٨) سورة لقمان: الآية ١٨.

(١٠٩) سورة الإسراء: ٣٧.

(١١٠) ديوان المتنبي، مكتبة مصر بالفجالة، القاهرة، (١٩٩٤م)، ص ٣١.

(١١١) المصدر السابق، ص ٣٢٥، ٣٢٦.

www.mtenback.com

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّن ضَمَّ مَجْلِسُنَا ... بِأَنَّنِي خَيْرُ مَنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمُ
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي ... وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ
أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا ... وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ
مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنُّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي ... أَنَا الثُّرَيَّا وَذَانِ الشَّيْبُ وَالْهَرَمُ

وتصبح المبالغة في تقدير الذات ممجوجة وغير مقبولة مثل قول المتنبي[112]:

أَيَّ مَحَلٍّ أَرْتَقِي ... أَيَّ عَظِيمٍ أَتَّقِي
وَكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ اللّ ... ـهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقِ
مُحْتَقَرٌ فِي هِمَّتِي ... كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِي

وقد تختلط معاني الصراحة بملابسة الأنفة والكبرياء فمن الناس من يكون في الذرى نسبًا أو حسبًا، ولا تراه يفتأ يذكر حسبه ونسبه، فيفخر على غيره أو يعظم نفسه عند الآخرين، وهو في حقيقة الأمر لم يقل إلا صدقًا، إلا أن صدور القول منه يضر بهذه الفضيلة التي صرح بها، ولم يدع غيره يتحمل ذلك عنه.

ويتحول الأمر إلى أسوأ من ذلك لو سمعت غير النبيل وقد حسنت حاله، وتبدلت أوضاعه إلى أفضل مما كان عليه، فرأس بعد تبعية، أو تقدم بعد تأخر، أو تجر بعد فقر، أو نحو ذلك من تغيرات الزمان، فلربما دعته نفسه إلى الاعتداد بنفسه على سبيل ادعاء الصراحة، وعندئذ لا يحسن به ذلك، ولا تقع صراحته موقعها، بل قد تنقلب عليه سخرية وسخطًا.

يروي الجاحظ عن بعض أحياء العرب كبني مخزوم وبني أميّة أنهم كانوا صرحاء في تفضيل أنفسهم على غيرهم، ويقول: فأبطرهم ما وجدوا لأنفسهم من الفضيلة، ولو

[112] المتنبي: ديوانه، ص ٢٣٥.

www.mtenback.com

كان في قُوى عقولهم وديانتهم فضل - أي زيادة - على قُوى دواعي الحميـــة فيهـــم لكانوا كبني هاشم في تواضعهم، وفي إنصافهم لمن دونهم[١١٣].

وينتهي الجاحظ إلى نتيجة مهمة في هذا المجال؛ يقول: «فأما الأكاســـرة مـــن الفرس فكانوا لا يعدون الناس إلا عبيدًا، وأنفسهم إلا أربابًا. ولسنا نخبر إلا عن دهماء الناس وجمهورهم كيف كانوا، من ملوك وسوقة. والكبر في الأجناس الذليلة من الناس أرسخ وأعم، ولكنَّ القلة والذلة مانعتان من ظهور كبرهم، فصار لا يعرف ذلـــك إلا أهل المعرفة، كعبيدنا من السِّنْد، وذمتنا من اليهود. والجملةُ أن كل مَنْ قَدَر من السفلة والوضعاء والمحقرين أدنى قدرة، ظهر من كبره على من تحت قدرته، علـــى مراتـــب القدرة، ما لا خفاء به. فإن كان ذميًا وحسُنَ بمالَهُ في صدور الناس، تزيَّد في ذلـــك، واستظهرَتْ طبيعته بما يظُن أن فيه رَقْعَ ذلك الخرق، وحياص - أي خياطة - ذلـــك الفتق، وسدِّ تلك الثلمة. فتفقَّدْ ما أقول لك فإنك ستجده فاشيًا. وعلى هذا الحساب من هذه الجهة، صار المملوك أسوأ مِلْكة[١١٤] من الحر[١١٥].

المعنى التقويمي في الصراحة:

الصراحة مطلب ضروري في حياة الأفراد، ويكون أكـــثر إلحاحًـــا في مواقـــع التقويم، فالذي يسند إليه تحكيم أمر ما ينبغي أن يكون للصراحة والصرامة فيهـــا دور بارز في حكمه، فيبتعد عن المجاملة وعن غمط الحق، كما ينأى عن قول الباطل فيمـــا يعتقد نفعه، وأن يصدع بكلمة الحق ليضع كل شيء في نصابه، ويكون الحكم حقيقيًـــا غير مبالغ فيه، ومتسمًا بالموضوعية. من ذلك مثلاً قولك لصاحبك إن فلانًا أذكى منك

---

[١١٣] هارون: تهذيب الحيوان للجاحظ، ص ٢١٨.

[١١٤] المِلكة، بالكسر، وبالتحريك: المِلْك، وفي الحديث: «لا يدخل الجنة سيىء الملكة» أي الذي يســـيء معاملة مملوكه.

[١١٥] تهذيب الحيوان للجاحظ: ص ٢١٧.

www.mtenback.com

وأوفر عقلاً وفهمًا، فالصراحة التي تقارن بها بين الرجلين تعبير صادق عن تقويمك لأحدهما، وإعلانك عن ذلك التقويم دون تحفظ، بغض النظر عما يترتب عليه من إيذاء للمشاعر[١١٦]. إلاَّ أن هذا اللون من الصراحة له سلبياته المتمثلة في إيذاء مشاعر بعض الناس وكسر نفوسهم خصوصًا إذا كانوا في طور التعلم والتلقي، لكن إيجابياته أكبر من سلبياته. إذ ليس كل ماخالف الهوى باطل، وليست كلمة الحق إلا بلسمًا لسلطان الضعف، وإحياء لسلطة الضمير، وكثير من الناس يرتاح للكلمة الصريحة الصادقة إذا صدرت عن حب وبنية حسنة غير سيئة، إذ ترتاح بعض النفوس للنصيحة ولو كانت مرة، وتطرب بعض القلوب لمن ينبهها على الخطأ فتتجنبه، ويدلها على الخير والصواب فتتبعه، متمثلة ما أثر من قول لعمر بن الخطاب «رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوبي».

لذلك فإن الإنسان الناضج العقل لا ينفر من الصراحة على لسان الآخرين فيما يتعلق بعيوبه، بل يفرح بذلك ليحاول تلافي هذه العيوب إن كانت في سلوكه، أو تعويضها إن كانت في خلقته، ويتجاوزها إلى آفاق من السلوك الحسن والطبائع الكريمة والعادات النبيلة. وبذلك تكون الصراحة في هذا المجال مطلوبة وواجبة على من يحبك ويخاف عليك ويريد أن يدلك على ما يعلي قدرك ويرفع شأنك.

ولا شك أن كل إنسان سوي يرغب دائمًا أن يعرف رأي الناس فيه ورؤيتهم له، وكلما نضج عقل الإنسان وارتفعت منزلته الأدبية بين الناس كانت رغبته في معرفة آرائهم فيه أشد وأقوى، بصرف النظر عن مدحهم له أو قدحهم فيه.

من الصراحة أيضًا ما يحدث في بعض المواقف، عندما يحل شخص ضيفًا على قريب أو صديق، فيقدم له ذلك الصديق طعامًا أوشرابًا، وبعد ذلك يسأله رأيه في الطعام والشراب، فنرى بعضهم يثني على الطعام والشراب بأكثر مما يستحقان، لئلا

[١١٦] أسعد: الصراحة مالها وما عليها، ص ٦.

www.mtenback.com

يحرج مضيفه، ويصعب عليه أن يصارحه بأن الطعام والشراب لم يعجباه، أو أن يقول الطعام كان مالحًا والشراب كان حامضًا، علمًا بأن كلامه مطابق للواقع الموضوعي ولما أحس به أو أدركه بدون مغالطة أو تزويق أو تعديل.

لكن هناك نوعًا من الصراحة يمكن أن يسبب كثيرًا من المشكلات لصاحبه. فإذا افترضنا أنك كنت - ذات ليلة - منهمكًا في العمل في بيتك، وفوجئت بضيف يقرع بابك على غير موعد، فيسألك بعد أن دخل وجلس إليك: «هل أنت مشغول؟» فإن أجبته بـ (نعم) آذيت مشاعره، وأحرجته، وربما خرج مغاضبًا لك، وقد يناصبك العداء نتيجة لموقفك الصريح وقولك الصادق، وإن جاملته بإنكار الاشتغال، أوحيت إليه باستعدادك لملاقاته والترحيب به، فتخرج عن صراحتك إلى مجاملة صاحبك ولو على مضرتك. هذا الموقف قد تنفع فيه الصراحة مع الصديق الأدنى الذي تهمه مصلحتك، وتراه يتأذى لما يؤذيك ويفرح لما تفرح، لكنه صعب على غيره، ثقيل الوقع على نفسه، وقد يظن صراحتك وقاحة مقرونة بالكراهية.

حكى سعدي الشيرازي عن أحد الملوك أنه أمر بقتل أسير بريء، فأخذ الأسير يسب الملك بلغته التي لا يفهمها الملك. فسأل الملك: ماذا يقول؟ فقال أحد الوزراء: إنه يقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[١١٧] فأخذت الملك الرحمة والشفقة على الأسير وأمر بعدم سفك دمه. فقال وزير آخر: لا يليق بأبناء جنسنا الكلام في حضرة الملوك بغير الصدق، إن هذا الوقح سب الملك وقال ما لا يليق. فقطب الملك وجهه من هذا الكلام وقال: إن كذبه جاء أرضى لي من هذا الصدق الذي قلته، فقد كان لذاك «الكذب» وجهة في مصلحة، وكان بناء «الصدق» على خبث، وقد قال العقلاء: الكذب المحقِّق للمصلحة خير من الصدق المثير للفتنة[١١٨].

---

[١١٧] سورة آل عمران: الآية ١٣٤.

[١١٨] السعدي الشيرازي: جنة الورد (كَلستان Golestan) تعريب: د. أمين عبدالمجيد بدوي، منشورات سمير أبو داوود، المركز العربي للصحافة، القاهرة، (١٩٨٣م)، ٥٧، ٥٨.

www.mtenback.com

وعلى هذا فإن الصراحة التي تتنافى مع تحقيق المصلحة - بشرط أن تكون مصلحة عامة لا مصلحة ذاتية على حساب الآخرين - هي صراحة غير مطلوبة . بل إن المداراة أنفع وأولى في بعض المواقف. حتى إن المتنبي الذي كان يجاهر كثيرًا في شعره بآرائه الصريحة الجارحة في الناس، اضطر أحيانًا للمداراة وإن كانت على مضض منه، فقال[١١٩]:

أَذُمُّ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أُهَيْلَهُ ... فَأَعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وأَحْزَمُهُم وَغْدُ

وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَمٍ ... وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدُ

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى ... عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

والمتنبي رأيه السيئ في حُكّام زمانه فإنه مرغم على صداقتهم وهذا سلوك يسبب له ألمًا نفسيًا عنيفًا لأنه ضد طبيعته الصريحة الثائرة.

وكان «سيبويه المصري» قد التقى بالمتنبي في الفسطاط وراجعه في بيته الأخير، وقال له إنه كان يجب أن يقول:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى ... عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ «مُدَارَاتِهِ» بُدُّ

فالمداراة هي المقصودة في البيت وليست «الصداقة». ويقول سيبويه المصري[١٢٠]: إنه عندما قال ذلك للمتنبي سكت و لم يردّ[١٢١].

---

[١١٩] المتنبي: ديوانه، ص ١١٩.

[١٢٠] سيبويه المصري: هو أبوبكر محمد بن موسى بن عبدالعزيز الكندي المصري، ولد بالفسطاط سنة ٢٨٤هـ وتوفى سنة ٣٥٨هـ، ولقب بسيبويه لبراعته في النحو واللغة، وكان من فقهاء الشافعية. وكان صديقًا للمؤرخ المصري ابن زولاق، وكانت له ملح ونوادر كثيرة جمعها ابن زولاق في كتاب خاص.

[١٢١] الحسن بن زولاق: كتاب أخبار سيبويه المصري - تحقيق: محمد إبراهيم سعد وحسين الديب، القاهرة، (١٩٣٣م)، ص ٧٨.

www.mtenback.com

ولاشك أن التواضع واتساع الأفق والحكمة وعدم التهور، كل ذلك مطلوب في بعض المواقف بدلاً من الصراحة الفجة التي تسيء لصاحبها، وتجعل الآخرين ينفرون منه ويظلمونه في المعاملة، فإذا لم يستطع المداراة والملاينة فليلتزم الصمت، فذلك يكون أفضل له.

ثم إن الصراحة الكاشفة لسوء طوية صاحبها ربما تكون فيها نجاة للآخرين من سوء العاقبة. إلا أنها تكون في المقابل نوعًا من انعدام اللباقة، ومن سوء الأدب أحيانًا، بل إنها لتعدُّ ضربًا من التهور الممقوت والحماقة القاتلة. ولنضرب لذلك مثلاً: بشابّ تقدم لخطبة شابّة من أسرة غنية، وهي خريجة إحدى الكليات الجامعية، فسأله والدها عن سبب اختياره لمصاهرتهم، فلو أجابه الخطيب: أنا رجل صريح، ولذلك أقول لك: إنني لم أتقدم لخطبة ابنتك إلا لأني فقير ومحتاج للمال، وزواجي من ابنتك يوفر لي ذلك حتى أصبح واحدًا من الأغنياء. حقًا لقد عمد هذا الشاب إلى الصراحة ولكنه أغفل آداب العلاقات الاجتماعية وما يجب أن يقال في مثل هذا الموقف الذي يمكن أن تكون الصراحة بما هو أخف وطأ: على نفسية الوالد، وأقل تأثيرًا على علاقتهما، ولهذا قالت العرب: لكل مقام مقال؛ فالصراحة في زمانها وفي موضعها مطلوبة، أما إذا أتت في غير موضعها فقد تعد بذاءة أو سوء أدب.

الشخص الصريح في ميزان النقد:

لقد أصبح من الممكن إجراء تقويم للشخص الصريح في ضوء مايقرره علماء النفس في هذا الشأن: وذلك من خلال الأمور التالية [١٢٢]:

إن الشخص الصريح معتد بنفسه، غالبًا، فهو يعتقد أنه على حق دائمًا، وأن الأشخاص غير الصرحاء منافقون، يتخبطون في طريق الضلالة والضياع. فمسألة

[١٢٢] أسعد: الصراحة مالها وما عليها: ٢٨، ٢٩.

www.mtenback.com

التوافق الاجتماعي في رأيه، التي يحتج بها المنافقون، هي عين الخطأ في المسيرة السلوكية، والخليق بالمرء أن يجعل من دخيلته نقطة الانطلاق السلوكي. وكل سلوك لا يتطابق مع أفكار المرء وتوجهاته وعواطفه ونوازعه، يكون سلوكًا زائفًا، لأنه لا يعبر عن حقيقة المرء الجوهرية. وقد ورد في الحديث: «لا يكن أحدكم إمَّعَةً»[١٢٣] وكما قال ﷺ: «ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول حقًا إذا علمه»[١٢٤].

فالاعتداد بالنفس يحمي شخصية الإنسان ويحقق استقلاله، ويحميه من تسلط الآخرين والحاجة لمالأتهم وكسب رضاهم. ولا يكون المرء صريحًا وهو يفكر بعقل الآخرين، ويحب ويكره بقلوبهم، ويعمل وفق إرادتهم. يقول أبو العلاء المعري[١٢٥]:

طِبَاعُ الْوَرَى فِيْهَا النِّفَاقُ فَأَقْصِهِمْ ... وَحِيْدًا وَلاَ تَصْحَبْ خَلِيْلاً تُنافِقُهْ

وَمَا تُحْسِنُ الْأَيَّامُ أَنْ تَرْزُقَ الْفَتَى ... وَإِن كَانَ ذَا حَظٍّ صَدِيْقًا يُوَافِقُهْ

يُضَاحِكُ خِلٌّ خِلَّهُ وَضَمِيْرُهُ ... عَبُوسٌ وَضَاعَ الْوِدُّ لَوْلاَ مُرافِقُهْ

ومن مقومات الشخص الصريح أنه لا ينسحب من الواقع الاجتماعي المحيط به، بل يقف مواجهًا ومتحديًا وغير عابىء بما يترتب على ذلك من نتائج. فهو يعلن في صراحة مايعرفه ويحس به من حب وكراهية، وما يعتزم القيام به، ممّا قد يتعارض مع ما يريد الآخرون. ولهذا فهو يتهم بالعناد والتصلب والتشدد، ولكنه مع هذا يظل على حاله من الاستقلال والشموخ والأنفة. فالتحدي شيمة من شيم الشخص الصريح الذي يعبر عن صميم شخصيته وجوهرها[١٢٦]. ولذلك فإنه يشعر بالغربة بين قومه، ويحسّ بالوحدة ؛ لعدم الانسجام مع الرأي العام حوله، ثم هو يرى خروج المجتمع على

---

[١٢٣] رواه الترمذي، كتاب البر والصلة، برقم ٢٠٠٧، بلفظ: «لا تكونوا إمعة....».

[١٢٤] ابن ماجة: كتاب الفتن، ٢٠، والترمذي، كتاب الفتن، ٢٦.

[١٢٥] أبو العلا المعري: اللزوميات، طبعة مصر، د.ت، ٢: ١٢٠.

[١٢٦] يوسف ميخائيل أسعد: الصراحة مالها وما عليها: ٢٩.

www.mtenback.com

إرادته لا خروجه هو عن الجماعة، وهو يرى أن الجماعة لا بد أن تتبع هواه وإرادتـــه، ولا تخرج عما يريد، وأن رأيه هو السديد دائمًا.

ولعل المتنبي قد صور لنا هذا كله في أبياته التالية بكل قوة، ووضوح[١٢٧]؛ يقول:

مَـا مُقَـامِي بِـأَرْضِ نَخْلَـــةَ إِلاَ ... كَمُقَـامِ الْمَسِـيْحِ بَيْـنَ الْيَهُـــودِ

أَنَـا فِـي أُمَّـةٍ تَدَارَكَهَـا اللّـــ ... ـــهُ غَرِيْـبٌ كَصَـالِحٍ فِـي ثَمُـودِ

أَيْنَ فَضْلِي إِذَا قَنِعْتُ مِـــنَ الدَّهْـــ ... ـــرِ بِعَيْـشٍ مُعَجَّـلِ التَّنْكِيْـــدِ

ضَاقَ صَدْرِي وَطَالَ فِي طَلَبِ الرِّزْ ... قِ قِيَـامِي وَقَـلَّ عَنْـهُ قُعُـــودِي

أَبَـدًا أَقْطَـعُ الْبِـلاَدَ وَنَجْمِـــي ... فِي نُحُـوسٍ وَهِمَّتِـي فِـي سُـعُودِ

وَلَعَلِّـي مُؤَمِّـلٌ بَعْـضَ مَـا أَبْـــ ... ـــلُغُ بِاللُّطْفِ مِـنْ عَزِيْـزٍ حَمِيـدِ

عِشْ عَزِيْزًا أَوْ مُتْ وَأَنْـتَ كَرِيْـمٌ ... بَيْنَ طَعْـنِ الْقَنَـا وَخَفْـقِ الْبُنُـودِ

وَاطْلُبِ الْعِـزَّ فِي لَظَـى وَدَعِ الـذُّ ... لَّ وَلَوْ كَانَ فِـي جِنَـانِ الْخُلُـودِ

إِنْ أَكُنْ مُعْجَبًـا فَعُجْـبُ عَجِيْـبٍ ... لَمْ يَجِدْ فَـوْقَ نَفْسِـهِ مِـنْ مَزِيْـدِ

من سمات الشخص الصريح أيضًا رفضه للسلبية واللامبالاة، وإيمانـه بضـرورة العمل لفضح النفاق والمنافقين. فهو لا يقف مكتوف اليدين غير عابئ بما يحيط به، أو بما يحدث حوله من مواقف وأحداث، بل يعلن على الملأ أنه لا يوافق على ستر المخبوء، أو على الوقوف مع المتفرجين. ويشهر الحقيقة كما هي في فكره وقلبه وإرادته، مخـبرًا عن المنافقين وما يخبئون في بواطنهم مما لا يتفق مع ما يعلنونه على المـلأ، وواصفًـا تعاملهم مع الآخرين على حقيقته، وبأنه تعامل ذو وجهين هدفه كسب الرضا ونيـل المنافع المادية [١٢٨].

---

[١٢٧] المتنبي، ديوانه: ١١٢، ١١٣.

[١٢٨] أسعد: الصراحة مالها وماعليها، ص ٢٩، ٣٠.

www.mtenback.com

والشخص الصريح يقدّس الحرية ولا يتنازل عنها أبدًا، لأنه بدون الحرية لا يستطيع أن يكون صريحًا في أقواله وأفعاله، بل سيكون أسير الكبت والقهر والطغيان، وسيكون مُكَبَّل اللسان واليد والعقل والإرادة. وبذلك يكون قد فقد إنسانيته ؛ فالصراحة تلزمها الحرية الكاملة. أما في المواقف المفروضة عليه فإن إرادته تكون مسلوبة تمامًا فيحس بأنه قد تحول من إنسان جدير بالاحترام إلى فأر في مصيدة، ويكون حينئذٍ في أسوأ حالاته المعنوية، ويصبح عاجزًا عن الحركة أو الكلام أو التفكير، ويرى أنه ضحية مؤامرة تهدف إلى اغتياله معنويًا، فيتحول تحت تأثير كل هذا الضغط النفسي إلى حالة من اليأس والإحباط تؤدي به إلى الإصابة بالمرض. وهذا ما حدث للمتنبي عندما حدد كافور الإخشيدي إقامته بعدما حدثت الجفوة بينهما، ومنع المتنبي من التعبير عما يعتمل في صدره صراحة، فأصيب بالحمى، وسجل لنا هذه التجربة الإنسانية المريرة في قصيدته الميمية المشهورة التي يقول فيها[١٢٩]:

أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ فَلاَ وَرَائِي ... تَخُبُّ بِيَ الرِّكَابُ وَلاَ أَمَامِي

وَمَلَّنِيَ الْفِرَاشُ وَكَانَ جَنْبِي ... يَمَلُّ لِقَاءَهُ فِي كُلِّ عَامِ

قَلِيلٌ عَائِدِي سَقِمٌ فُؤَادِي ... كَثِيْرٌ حَاسِدِي صَعْبٌ مَرَامِي

عَلِيْلُ الْجِسْمِ مُمْتَنِعُ الْقِيَامِ ... شَدِيْدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ

وَزَائِرَتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً ... فَلَيْسَ تَزُوْرُ إِلاّ فِي الظَّلاَمِ

بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا ... فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي

يَضِيْقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفَسِي وَعَنْهَا ... فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ

أَرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ ... مُرَاقَبَةَ الْمَشُوْقِ الْمُسْتَهَامِ

---

[١٢٩] المتنبي: ديوانه، ص ٣٧٣، ٣٧٤.

www.mtenback.com

وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا وَالصِّدْقُ شَرٌّ ... إِذَا أَلْقَاكَ فِي الْكُرَبِ العِظَامِ

يَقُولُ لِيَ الطَّبِيبُ أَكَلْتَ شَيْئًا ... وَدَاؤُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ

وَمَا فِي طِبِّهِ أَنِّي جَوَادٌ ... أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طُولُ الْجِمَامِ

تَعَوَّدَ أَنْ يُغَبِّرَ فِي السَّرَايَا ... وَيَدْخُلَ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامِ

فَأُمْسِكَ لا يُطَالُ لَهُ فَيَرْعَى ... وَلاَ هُوَ فِي الْعَلِيْقِ وَلاَ اللِّجَامِ

فَإِنْ أَمْرَضْ فَمَا مَرِضَ اصْطِبَارِي ... وَإِنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمَّ اعْتِزَامِي

وَإِن أَسْلَمْ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ ... سَلِمْتُ مِنَ الْحِمَامِ إِلى الحِمَامِ

وهكذا يسيطر اليأس والإحباط على الشاعر المكبوت، الممنوع من الإفصاح عن حقيقة ما في نفسه من مشاعر وأفكار وآلام وآمال ضائعة، فينتهي به الأمر إلى المرض والتفكير في الموت، فيرى الموت قريبًا منه وأن المرض سوف يُسلمه إلى الموت الحتمي حتى لو توهم أنه قد سلم من المرض.

من الطبيعي ألا يكون الناس المحيطون بالشخص الصريح مرتاحين للإفضاء إليه بأسرارهم أو خاصة أمرهم، وربما رموه بعدم الإخلاص لهم، فهو في نظرهم لا يؤتمن على سر، ولا يصح أن تقوم بينهم وبينه رابطة عميقة، بل إن من الحكمة تجنبه والابتعاد عنه، وعدم مخالطته، إلا في أضيق نطاق، حتى أفراد أسرته ربما تحرزوا منه واحترسوا من التحدث إليه، لأنهم يخشون من اطلاعه على أي أمر من أمور حياتهم فيكشف ستره وقد يلحق بهم الضرر، وهم بذلك يضعونه موضع من فقدوا الثقة في معاشرته، لا لخيانة، ولا لسوء خلق أو معاملة، بل لأنه كمن يطلق عليه في عصرنا (مسحوب من لسانه) ، فلسانه تدفعه الصراحة الفجة إلى أن يقول مايعتقده صوابًا، حتى لو ألحق الضرر بأقرب الناس إليه، أو تجاوز أهله إليه هو، فهم بذلك كأنما سحبوا

www.mtenback.com

الثقة منه فلا يسرون إليه بشيء، لأنه لم يعد يصلح أن يكون مستودعًا للسرِّ[١٣٠]. وكيف تكون الثقة فيمن لا يتورع عن معاداتهم وكشف أسرارهم والخوض في خصوصياتهم وتفاصيل حياتهم الشخصية.

يعتقد الشخص الصريح، أن الحرية هي هواؤه الذي يتنفسه والذي لا يستطيع الحياة بدونه لكي يحقق ذاته بالصراحة في الأقوال والأفعال. ويؤمن كذلك بأن نقاء الضمير وسلامة النية لا يتحققان إلا بالصراحة الكاملة مع الآخرين. لكن الناس ليسوا سواء، وكثير منهم، بل ربما أكثرهم، غالبًا مايلجؤون إلى إخفاء حقيقتهم عن الآخرين فتتحول حياتهم إلى مجموعة من الأسرار والألغاز والطلاسم والأحاجي الغامضة مما يعوق التواصل بينهم فيتحول اليقين إلى شك دائم والنور إلى ظلمة والحب إلى كراهية والسلام إلى حرب ضروس والنعيم إلى جحيم مقيم. هكذا يرى الصريح مآل الأمور إذا خلت من الصراحة، لأن انعدامها بين الناس يعني العداوة والشحناء والضغينة والكيد وإضمار الشر، وفوق ذلك فانعدامها علامة ساطعة على عدم سلامة ضمائرهم وعدم نقاء سرائرهم. والشخص الصريح لا يحب ذلك، بل ينفر منه ويتمنى أن يكون الناس ظاهرهم كباطنهم ليعم السلام والحب بينهم. وهو يرى أن الصراحة فضيلة تكشف للناس عيوبهم ومثالبهم كما تكشف لهم محاسنهم ومزاياهم، وتكشف لهم حقائق الأشياء في وضوح فتنير لهم طريق الحياة. ولكن المحيطين لا يرون رأيه بل يرفضونه ويحاربونه لما يجره عليهم هذا النوع من الصراحة من أضرار.

المشكلات التي يمكن أن تترتب على الصراحة:

الواقع أن الشخص الصريح لا يَسْلم من المشكلات التي تسببها له صراحته، وإعلانه لما يدور في ذهنه من أفكار وذكريات خاصة به، أو بغيره، فقد تفضي صراحته إلى مضايقة الآخرين والإضرار بهم.

---

[١٣٠] أسعد: الصراحة مالها وما عليها، ص ٣٠.

www.mtenback.com

ولعل أشهر مشكلة تترتب على الصراحة هي ما كان يحدث للمحبين في البيئة العربية قديمًا، مثلما حدث مع «قيس بن الملوح» مجنون «ليلى العامرية»، ومع «جميل ابن مَعْمَر» عاشق «بثينة». يقول السهروردي[١٣١]:

وَارَحْمَتَا لِلْعَاشِقِيْنَ تَكَلَّفُوا ... سَتْرَ الْمَحَبَّةِ وَالْهَوى فَضَّاحُ

بِالسِّرِّ إِنْ بَاحُوا تُبَاحُ دِمَاؤُهُمْ ... وَكَذَا دِمَاءُ الْعَاشِقِيْنَ تُبَاحُ

وَإِذَا هُمُ كَتَمُوا تَحَدَّثَ عَنْهُمُ ... عِنْدَ الْوُشَاةِ الْمَدْمَعُ السَّحَّاحُ

وَبَدَتْ شَوَاهِدُ لِلسَّقَامِ عَلَيْهِمُ ... فِيْهَا لِمُشْكِلِ أَمْرِهِمْ إِيْضَاحُ

فمع الخطر المحدق بكل من يصرّحُ بحبه - مازال المحبون يعلنون عواطفهم ومشاعرهم على مسامع الناس لأن كتمان الحب مستحيل وغير ممكن أبدًا.

وكثيرًا ما كانت الصراحة في إعلان عاطفة الحب سببًا لهلاك صاحبها، ويذكر ابن حزم حادثة طريفة، فقد كان المحب «فتى حسن الوجه، حلو الحركات، مرغوبًا فيه مائلاً إلى اللذات، دنياوي الطبع، والمحبوب امرأة جليلة القدر، سرية المنصب» فصرَّحت بحبها له وكان في ذلك هلاكه ونهاية أجله. وهذه كانت ميتة مروان بن أحمد بن حدير، والد أحمد المتنسك، وموسى وعبدالرحمن، الذي أودى بحياته تصريح معشوقته بمبادلته حبًا بحب. وفي ذلك يقول ابن حزم شعرًا[١٣٢]:

وَهَلْ يَأْمَنُ النسْوَانَ غَيْرُ مُغَفَّلٍ ... جَهُولٍ لأَسْبَابِ الرَّدَى مُتَعَرِّضِ

وَكَمْ وارِدٍ حَوْضًا مِنَ الْمَوْتِ أَسْوَدًا ... تَرَشَّفُهُ مِنْ طَيِّبِ الطَّعْمِ أَبْيَضِ

---

[١٣١] الحصري القيرواني: المصون في سر الهوى المكنون: ص٩٠.

[١٣٢] ابن حزم: طوق الحمامة، ص١٦١.

www.mtenback.com

محاذير الصراحة:

لابد من الوقوف على المحاذير التي يجب أن يتحاشاها المرء الموصوف بالصراحة المتناهية التي لا تقف عند حدود،ولا تعبأ بعواقب الأمور ونتائج فضح مايجب ستره. إن بعض الناس يظن هذه الصراحة نوعًا من قوة الشخصية، ومادامت شخصيته قوية فإن التصريح لن يزيده إلا قوة إلى قوته ؛ ولذلك تراه يفسر الصراحة، بأنها التعبير عما يعرفه المرء عندما يُسأل دون أن يتحرى الاعتبارات والملابسات الخاصة بكل موقف من مواقف الحياة والتعامل مع الآخرين؛ فالصراحة المطلوبة من الأطفال ليست هي الصراحة المطلوبة من الراشدين. كذلك فإن من يتولى مسؤولية حساسة لابد أن يكتم أسرارها وأن يلتزم بالدستور الأخلاقي للمهنة التي يتولى مسؤوليتها، فالطبيب يجب أن يكتم أسرار مريضه ولا يعلنها لأي شخص، باستثناء تلك الأسرار التي يجب عليه أن يبلغها للمسؤولين، كأن يكون السر الذي يعرفه متعلقًا بصحة العامة وبأمن البلاد وأمن المواطنين[١٣٣].

وهنا يجب الانتباه جيدًا إلى أن الصراحة نسبية، ومرتبطة دائمًا بظروف كل موقف على حدة. فلكل مقام مقال، ولكل عصر لغته الملائمة له، ففي عصر السلام تكون اللغة الملائمة له من الأمن والاطمئنان لأحوال البلاد بعد التأكد من عدم وجود خطر محدق. وفي عصر الحرب تكون المحاذير كثيرة ولا يمكن الركون إلى العفوية في الحديث والسلوك والتعامل بين أفراد المجتمع، بل يجب الحذر والوعي بخطورة الموقف، وتجنب مزالق إعلان ما لايجوز إعلانه.

فقد ينزلق صاحب هذه الشخصية، بسبب ثقته بمكانته بين ذويه وأقربائه وأصحابه، إلى رذيلة النميمة. إذ قد يستدرجه بعض الماكرين بأن يتشكى من تصرفات صدرت عن قريب لهم أو جار، فإذا به وقد أخذ يتجاوب وجدانيًا مع أولئك الماكرين

---

[١٣٣] أسعد: الصراحة مالها وماعليها: ص١٣٨.

www.mtenback.com

عما يكبتونه في نفوسهم ضد هذا القريب أو ذلك الجار، فيبدأ هو بالكشف عما يضايقه من ذلك القريب. ومع أن نيته قد تخلص إلى تهدئة الخواطر، فإنه يكون في موقفه هذا قد انزلق إلى رذيلة لا تليق بصاحب الشخصية الصريحة، وهي رذيلة النميمة وذم الغائبين عن المجلس [١٣٤].

وقد نهى الله ورسوله عن النميمة؛ يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[١٣٥] فتمثيل الغيبة بأكل لحم الأخ الميت تشديد من الله في النهي عنها، فإن عقوبتها شديدة مثل الاستهزاء والظن السيىء والتجسس. هكذا حرم الله النميمة وذمها، ويقول الرسول ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام».

ويقول سعدي الشيرازي «لا تُفْش كل سر لك إلى الأصدقاء، فما يدريك أن يصيروا أعداء؟ وكل شرٍ تستطيعه، لا تفعله مع الأعداء فقد يصيرون يومًا أصدقاء، والسر الذي تريد إخفاءه لا تُفْشِه لأحد وإن يكن صديقًا مخلصًا، فإن لذلك الصديق أصدقاء كثيرين وهكذا». ويقول في ذلك أيضًا: «الكلام الذي لا يجوز قوله في كل مجمع، يجب ألا تقوله في الخفاء». ويقول أيضًا: «إنما يغتاب الحسود القصير اليد، لأن لسان مقاله يكون أخرس عند المواجهة»[١٣٦].

وقد يقع صاحب هذه الشخصية الذي يحتل موقعًا ممتازًا، ويتولى مسؤولية حساسة في أحابيل المتآمرين عليه والمتسربلين بسربال الصداقة والحب والإخلاص،

---

[١٣٤] أسعد: الصراحة مالها وما عليها، ص ١٣٨، ١٣٩.

[١٣٥] سورة الحجرات: الآية ١٢.

[١٣٦] السعدي الشيرازي: جنة الورد: ص٢٨٥، ٢٨٦، ٣٠١.

www.mtenback.com

فيعرض أمامهم أسراراً يعرفها عن شخصيات مؤثرة ومسؤولة فتحدث من ذلك أضرار كبيرة ومفاسد جمة له ولغيره [١٣٧].

لذلك قال الشاعر:

قَدِّرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا ... فَمَنْ عَلاَ زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا

وقال آخر:

أَسَأْتُ إِذْ أَحْسَنْتُ ظَنِّي بِكُمْ ... وَالحَزْمُ سُوْءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ

وقال أبو العلاء في لزومياته[١٣٨]:

فَلاَ يَغُرُّكَ بِشْرٌ مِنْ صَدِيقٍ ... فَإِنَّ ضَمِيْرَهُ إِحَنٌ وَخِبُّ

ويقول وقد بلغ به الحذر من الناس كل مبلغ[١٣٩]:

أُنافِقُ النَّاسَ إِنِّي قَدْ بُلِيْتُ بِهِمْ ... وَكَيْفَ لِي بِخَلاَصٍ مِنْهُمُ دَانِي

مَنْ عَاشَ غَيْرَ مُدَاجٍ مَنْ يُعَاشِرُهُ ... أَسَاءَ عِشْرَةَ أَصْحَابٍ وَأَخْدَانِ

كَمْ صَاحِبٍ يَتَمَنَّى لَوْ نُعِيْتُ لَهُ ... وإِنْ تشَكَّيْتُ راعَانِي وَفَدَّانِي

وقال أيضاً[١٤٠]:

كُلْ واشْرَبِ النَّاسَ على خِبْرَةٍ ... فَهُمْ يُمَرُّونَ ولا يَعْذُبُونْ

وَلا تُصَدِّقْهُمْ إِذَا حدَّثُوا ... فَإِنَّهُم مِنْ عَهْدِهِمْ يَكْذِبُونْ

وَإِنْ أَرَوْكَ الْوُدَّ عَنْ حَاجَةٍ ... فَفِي حِبَالٍ لَهُم يَجْذِبُوْنْ

---

[١٣٧] أسعد: الصراحة مالها وماعليها: ١٣٩، ١٤٠.

[١٣٨] المعري: لزوم ما لا يلزم، ص١٣٦.

[١٣٩] أبو العلاء المعري: اللزوميات - ٢: ص، ٣٧٢.

[١٤٠] المصدر السابق، ص، ٣٩٣.

www.mtenback.com

وليكن التصرف السليم في هذه المواقف ما حكاه السعدي الشيرازي عن رجلٍ عابدٍ سأله أحد الأكابر: ما تقول في حق فلان العابد؟ فإن الآخرين قد تكلموا عنه طاعنين. قال الرجل العابد: في ظاهره لا أرى عيبًا، وفي باطنه لا أعلم غيبًا[١٤١].

صراحة الاعتراف:

يعتقد بعض الأشخاص المشهود لهم بقوة الشخصية، أنه إذا عمد إلى إفشاء أسراره الشخصية وتحدث عن نقاط ضعفه وخصوصياته بصراحة أن سامعيه سيرفعون من شأنه ويبجّلونه لتواضعه، واعترافه بنقاط الضعف في شخصيته.

ولكن هذا العمل، وإن كان متلبسًا بالصراحة، إلا أنه بالغ الغباء والسذاجة. فمثل هذه الصراحة التي تصل إلى إفشاء الأسرار الشخصية والعائلية هي في الحقيقة صراحة غبية، تهبط بمقام صاحبها وتصيب سمعته بأضرار بالغة. وقد تستخدم ضده في يوم من الأيام لأنها بمثابة اعتراف لا يستدعي معه شهود، ولا يستطيع صاحبه الإنكار أو المراوغة.

إن الصراحة في الاعتراف ينبغي أن تكون في حدود مقبولة، لا تبلغ الخصوصية التي تكشف مكنونات لا يخلو منها البشر، وكشفها قد يضر بصاحبها، ولا بأس أن تكون فيما لا يبلغ هتك الأستار، وفضح الأسرار[١٤٢].

أما الحد المقبول من هذا النوع من الصراحة فهو ذلك الذي يهدف إلى التطهر والتوبة من الآثام، ويكون الدافع إليه تواضع صادق وإقرار بمحدودية قدرات الإنسان وضعف نفسه البشرية في بعض الأحيان، فكل بني آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون.

قال ابن حزم الأندلسي: أخبرني ثقة صدوق من إخواني من أهل التمام في الفقه والكلام والمعرفة، وذو صلابة في دينه، أنه أحب جارية نبيلة أديبة ذات جمال بارع،

---

[١٤١] السعدي الشيرازي: جنة الورد: ص، ١١٣.

[١٤٢] أسعد: الصراحة مالها وما عليها: ص ١٤٠، ١٤١.

www.mtenback.com

قال: فعرضتُ لها فنفرَتْ، ثم عرضتُ فأبَتْ.فلم يزل الأمر يطول وحبها يزيد، وهي لا تطيع البتة، إلى أن حملني فرط حبي لها مع عَمَى الصبا على أن نذرتُ أني متى نلتُ منها مرادي أن أتوب إلى الله توبة صادقة. قال: فما مرت الأيام والليالي حتى أذْعَنَتْ بعد شِماس ونفار. فقلت له: أبا فلان، وفيت بعهدك؟ فقال: إي والله، فضحكْتُ[١٤٣].

كذلك يكون الاعتراف بالجوانب الشخصية لشخص يهمه ذلك الأمر، ويدرك قيمته ومغزاه ويقدر على حفظه وعدم إشاعته.

الرمز والصراحة:

البلاغيون يستخدمون التورية والكناية والتعريض بدلاً من التصريح، فيكون الأسلوب أبلغ، وكذلك في التصريح اللبق من الإنسان الموسوم بالصراحة يكون الرمز مؤدياً لما يريد التصريح به وفي الوقت نفسه لم يعرض صاحبه لسوء المقال، أو لموقف يكون فيه متحرجًا، أو مترددًا بين الكتمان والصراحة.

والأصل في الرمز أن يجيء لاحقًا لما يرمز له، إذ تعْرِضُ لنا حالةٌ أو فكرة، نريد تمييزها مما قد يختلط بها، من أشباهها أو أضدادها، فنبحث لها عن رمز يميزها؛ والأغلب أن تكون الحالة المرموز لها مجردة، وأن يكون الرمز المميز لها شيئًا محسوسًا يجسد خصائصها ومعناها، ومن ثم كثر استخدام الرمز في الدين والشعر والفن، وهي مجالات تختلج فيها النفس بأفكار ومشاعر يتعذر تعريفها بالحد العلمي الرياضي الحاسم، فيلجأ صاحبها - إذا أراد التعبير عنها - إلى تصويرها في مجسدات مما تألفه العين والأذن وغيرهما من الحواس، وبمقدار ما تكون الموازاة كاملة بين الحالة الباطنية التي نريد إخراجها، وبين الشيء المحس الذي وقع عليه اختيارنا لنرمز به إلى تلك الحالة، تكون العملية الرمزية قد حققت غايتها؛ وإذن فنقطة البدء الطبيعية، في عملية الرمز،

---

[١٤٣] ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة، ص ٣١٤.

www.mtenback.com

هي اختلاج النفس بحالة يراد التعبير عنها، ثم يتجه طريق السير من باطن إلى ظاهر[١٤٤].

ومن هنا فإن الرمز لا يتناقض مع الصراحة، لأن هناك نوعًا من الحقائق لا يقال إلا رمزًا ولا سبيل إلى الكشف عنها إلا عن طريق الرمز. وبهذا المعنى فإن الرمز مستوى آخر من مستويات الصراحة، لأنه يلائم - عند اتخاذه وسيلة للتعبير - بعض الحقائق والحالات النفسية التي لا يمكن التعبير عنها تعبيرًا مباشرًا يفسدها وينزع عنها قيمتها الكامنة فيها؛ وهنا لا مفر - في هذه الحالة - من التعبير بالرمز. والابتعاد عن التعبير المباشر والميل نحو الرمز والكناية والتورية، وبناء الصور البلاغية، كل ذلك من أخص خصائص التعبير الأدبي، لأن الأديب دائمًا يحاول التعبير عن المعاني والحالات النفسية والشعورية غير المرئية وغير المحسوسة أو بتعبير أدقّ: غير المدركة بالحواس الخمس. لذلك فإنه يلجأ إلى الرمز، والكناية والاستعارة وأحيانًا التورية، عندما يريد أن يعبر عن معنى أو فكرة أو رأي لا يستطيع أن يتقبله أو يدرك حقيقته كل الناس، فالكشف المباشر عن معنى الكلام كثيرًا ما يفسده ويشوهه، ويحول بين الرسالة وغايتها.

والتورية في الكلام تكون أحيانًا ضرورة لا محيد عنها في بعض المواقف والمقامات التي لا تكفي أو لا ينبغي فيها الصراحة. لذلك كانت التورية من مباحث البلاغة التي رصدها البلاغيون العرب.

التورية، وتسمى الإيهام أيضًا، هي أن يطلق لفظ له معنيان: قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما.

ومن أطرف الأبيات التي وردت بها التورية، ما قاله أمير الشعراء أحمد شوقي يمازح زميله حافظ إبراهيم:

---

[١٤٤] محمود، زكي نجيب: قيم من التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٩٩م)، ص ٤٩.

www.mtenback.com

وَأَوْدَعْتُ إِنْسَـــانًا وَكَلْبًـــا وَدِيْعَـــةً فَضَيَّعَهَا الْإِنْسَانُ وَالْكَلْـــبُ حَـــافِظُ

فالتورية هناك في لفظة «حافظ» الواردة في آخر البيت، فالمعنى القريب هو أن الكلب حفظ الوديعة، أما الإنسان فضيعها، لكن المعنى البعيد الذي أراده الشاعر، هـــو أن حافظ كلب. وقد رد عليه حافظ إبراهيم ببيت يتضمن تورية أيضًا:

يَقُولُون إِنَّ الشَّـــوْقَ نَـــارٌ وَلَوْعَـــةٌ فَمَا بَالُ شَوْقِي أَصْبَحَ الْيَـــوْمَ بَـــارِدا

وهنا التورية في لفظ «شوقي»، فالمعنى القريب هو أن شوق الشاعر نحو محبوبه أصبح باردًا، على غير عادة المحبين الذين يكون شوقهم دائمًا مشتعلاً متأججًا، فهو نار ولوعة. أما المعنى البعيد الذي قصده الشاعر فهو أن الشاعر أحمد شوقي أصبح شـــخصًا باردًا ثقيلاً. وقد غلف كل منهما صراحته وما يريد قوله بصاحبه بما يحتمل معنى بعيداً.

فالشاعران لو صرحا بما ورَّيا به، لعد خصومة تتناقلهـــا الألســـنة، وتلوكهـــا، لكنهما اكتفيا بهذا الأسلوب، الذي هو واحد من أساليب البلاغة العربية، وفيه غنـــىً عن التصريح.

وفي أحيان كثيرة، تكون الكناية أبلغ من الصراحة في التعبير عن المعاني، لذلك جاءت الكنايات في كلام العرب في مواقف ومقامات كثيرة، فهم يقولـــون: «فـــلان طويل النجاد»، أي طويل القامة، ويقولون: «فلانة نؤوم الضحى»، أي مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات، وذلك أن وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها، فلا تنام فيه من نســـائهم إلا مـــن تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك، وكقولهم: «فلان كثير الرماد»، كنايـــة عن كونه مضيافًا. ومن ذلك قول الشاعر:

وَمَا يَـــكُ فِـــيَّ مِـــنْ عَيْـــبٍ فَـــإِنِّي جَبَانُ الْكَلْـــبِ مَهْـــزُوْلُ الْفَصِـــيلِ

فهو جبان الكلب، أي أن كلبه الذي يقتنيه في داره لا ينبح على الغرباء، لأنـــه اعتاد كثرة الضيوف المترددين على الدار، أما الفصيل المهزول، فهو كناية عن كـــثرة

www.mtenback.com

الضيفان حيث يقدم حليب أم الفصيل لهم، ويجوع الحوار وقد عبر عن هذه المعاني بما يفهم منها في البيئة العربية.

ولا شك أن التعبير بهذه الصورة كناية جميلة، أبلغ كثيراً من التعبير الصريح. فالشاعر يريد أن يمدح نفسه بالكرم، فلو أنه قال: أنا كريم، لما التفت إليه أحد، لكنه رسم لنا صورة أدت المعنى بشكل أبلغ وأعمق مما لو قاله بكلامٍ صريحٍ.

وفي كل مجتمع متحضر، في كل زمان ومكان، نجد الطوائف وأصحاب المهن المختلفة يصطلحون على أسماء يكنون بها عن أغراضهم حتى لايهتدى الآخرون إلى مرادهم. وفي مقامات الحريري التي تضمنت الكثير من قصص أهل الكدية وحيلهم في استجداء الآخرين نماذج كثيرة من تلك الكنايات الخاصة.

ولا شك أن شخصية المحتال في أي مجتمع، تعتمد في وجودها واستمرارها على إخفاء حقيقة وضعه الاجتماعي عمن حوله؛ فهو في كل يوم يتقمص شخصية تختلف عن التي تقمصها في اليوم السابق، والتي سيتقمصها في اليوم اللاحق. وله في كل موقف مع الناس أسلوب جديد، مختلف عن سابقه ولاحقه، لذلك فهو يعتمد على التمويه وإظهار غير ما يخفي، ويتخذ الكناية أداة فعالة حتى لا يفهم عنه إلا أشخاص ينتمون إلى نفس طائفته، أو مهنته الطفيلية و لم يصرح بشيء مما يريد.

ففي المقامة النصيبية، نجد أبا زيد السروجي مريضًا، وقد زاره أصحابه، وعندما أراد أن يتحدث مع ابنه، استخدم في حديثه الكنايات الطفيلية.

يروي الحارث بن همام أنه أخذ أصحابه وذهبوا لعيادة أبي زيد في داره، وجلسوا معه طويلاً حتى صلوا الظهر، ثم العصر، وأرادوا الانصراف؛ يقول: «ثم تحثحثنا للارتحال إلى ملقى الرحال، فالتفت أبوزيد إلى شبله، وكان على شاكلته وشكله، وقال إني لأخال أبا عمرة قد أضرم في أحشائهم الجمرة، فاستدع أبا جامع فإنه يسري كل جائع»..

www.mtenback.com

وفي المقامة التبريزية، نجد أبا زيد السروجي يتخاصم مع زوجته أمام القـــاضي ويتبارى كلاهما في سب صاحبه، وإظهار معايبه، حتى يتضح في النهاية أنها حيلة من أبي زيد وزوجته، احتالا بها على القاضي ليأخذا منه دينارين، مع أن ذلك القـــاضي معروف عنه البخل الشديد.

الصراحة هبة:

الشخص الذكي صاحب الخبرات العميقة في الحياة يستطيع أن يوظف الصراحة توظيفًا صحيحًا، بحيث يكون صريحًا، حيث تكون الصراحة، ضرورة لا غنى عنهـــا، كما أنه يستطيع أن يدرك درجة الصراحة التي يستلزمها كل موقف، فإن لكل موقف ما يلزمه من الافصاح والبوح. والشخص الذكي يعرف متى يعبِّر عن ذاته وكيف يجعـــل إبانته ملائمة للموقف، لأنه يستوعب المواقف المختلفة، ويتعامل مع كل موقف حسب طبيعته، وفي ضوء ما يناسبه من وسائل التعبير.

والشخص الذكي الصريح، يدأب على الإفادة من المواقف التي سبق له أن انخرط فيها، فهو يعمد إلى الحذف والإضافة، والتجويد في الإبانة، كمـــا أنـــه يفيـــد مـــن استجابات الآخرين له، ومن وقع كلامه عليهم، وأثر تعبيره عن شعوره فيهـــم، ومـــا يتخذه من مواقف وتصرفات بإزائهم، فيخفف أو يضاعف من الوسائل التي يستخدمها في الكلام، و في المواقف والعلاقات، كما أنه يتخلَّص مما هو فضل وزيادة في الكـــلام، ويجري كذلك سائر التنقيحات التي يُحَسِّن بها كلامـــه، وتعبـــيره عـــن مشـــاعره وتصرفاته.

والشخص الشجاع الصريح يستطيع بخبراته الاجتماعية المتنوعة، أن يستشف ما يتحرك في قلوب الآخرين من مشاعر نحوه، وما يجول بخواطرهم من أفكـــار، ومـــا ينحون إليه من توجهات، ومن ثم فإنه يتعامل معهم كما لو كان كتابًا مفتوحًا يقـــرأ

www.mtenback.com

سطوره باستفاضة وتمعُّن. وفي ضوء ما يقرؤه، يوجّه إليهم كلامه الذي يترجم بواسطته ما يجول في ذهنه من معان، كما يوجه إليهم تعبيراته التي تفصح عن مشاعره ومواقفه وتصرفاته بإزائهم. فهو يخاطب الناس على قدر عقولهم، وفي ضوء حالاتهم النفسية، وما يمكن أن يتقبلوه من كلامه ومواقفه معهم، وعلى هذا الأساس يبدي صراحته.

فالصراحة علاقة بينه وبين الآخرين، يستخدم معها ذكاءه وحَدْسَه واستشرافه وتوقعه لما سوف يكون لكلامه وسلوكه وتعامله معهم من أثر واستجابة.

والصراحة تشفي صاحبها من الأمراض النفسية ومن التوتر، وتعيد إليه الثقة بنفسه وبالآخرين، وتوجه حياته إلى الأفضل، فيخرج من ظلمات الشك والحيرة إلى نور القين، وينتصر على حالة التذبذب والتردد والجبن والخوف التي تشل إرادته، فيستعيد إرادته ويصبح شخصًا إيجابيًا قادرًا على تحمل المسؤولية، وتحقيق النجاح في حياته العملية، وبلوغ السعادة في حياته الخاصة، لأنه يبدأ بمصارحة نفسه أولاً بحقائق الأشياء وينتهي إلى أنه لا مفر من مصارحة الآخرين بحقيقة نفسه، لتصبح العلاقة بينه وبينهم متينة وقائمة على أساس سليم. والشخص الواثق في نفسه، إذا أخطأ فإنه لا يتوانى عن الاعتذار عن خطئه، فهو يعلم أن أعتذاره لا ينال من كرامته، ولا ينتقص من ثقته بنفسه، كما أنه يعلم أيضًا أن الوقوع في الخطأ غير مستبعد، من أكثر الناس فطنة وحكمة. فالإنسان خطاء، بيد أن الواثق من نفسه لا يُلحُّ في الاعتذار، ولا يبالغ في استرضاء من أخطأ في حقه، ولا يمتهن نفسه في سبيل نيل الرضا، ولكنه يعتذر عن خطئه ليكون راضيًا عن سلوكه الشخصي.

والواثق من نفسه لا يهدف من صراحته مع الآخرين النيل منهم و الإساءة إليهم، بل يستهدف البناء ورفع الهمة. وهو لا يُلقي الكلام على عواهنه، بل يحدد الهدف من كل كلمة ينطق بها. ولا يصارح الناس إلا بما يناسب أفهامهم وما يكون لديهم استعداد لتحقيقه. وهو يعلم أن الواقع متغير ومتطور باستمرار. فيحاول أن

www.mtenback.com

يتوافق مع الواقع المحيط به، ويتفاعل مع تطوراته ولا يقف جامدًا عند نقطة لا يتعداها.

لكن الصراحة المدعومة بالثقة في النفس كثيرًا ما تعترضها المصاعب والعقبات. فكثيرًا ما يحكم الآخرون على الشخص الصريح بأنه مغرور ومتكبر، ومن ثمَّ فإنهم يقلبون كلامه إلى عكس ما يقصد ويشوّهونه، إما عن جهل منهم وإما عن سوء نية. وقد يقصد بعض اللئام من هذا التحريف والتشويه، الحط من مكانة الشخص الصريح وتشويه صورته أمام الناس. بل تصل بهم الغيرة والحسد إلى تسفيه كل ما يتفوه به الشخص الصريح، بقصد الحط من معنوياته والنيل من وضعه الاجتماعي، والهبوط بمكانته في محيط عمله أو تخصصه إن كان عالمًا أو فنانًا أو صاحب مهنة.

ومن المصاعب العظيمة التي يلقاها الشخص الصريح، الواثق من نفسه أن أعداءه يعملون بجدٍّ ومثابرة على تحطيم ثقته بنفسه وتحويل نجاحه في عمله إلى فشل؛ فيتجاهلون وجوده بينهم، ولا يلتفتون إلى ما يقول. فإذا كان مدركًا لما في نفوس أولئك الحاقدين من نية سيئة تجاهه، فإنه لن يتأثر بموقفهم بل يظل متماسكًا. وقد يقابل تجاهلهم بتجاهل مماثل، دون أن تضعف ثقته بنفسه أو تهتز.

وربما كان المثل الواضح والنموذج الشهير لذلك في ثقافتنا العربية هو الشاعر المتنبي، فقد كان حاسدوه ومناوئوه وشانئوه من أهل الشعر والأدب وغيرهم كثر، وكانت حربهم ضده لا تتوقف أبدًا، ولا يهدأ أوارها وعاش مع كل ذلك صامدًا قويًا متماسكًا. وقد سجَّل لنا ذلك في شعره بصراحة ووضوح حيث يقول [١٤٥]:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْنِي شُوَيْعِرٌ ... ضَعِيفٌ يُقَاوِينِي قَصِيرٌ يُطَاوِلُ

لِسَانِي بِنُطْقِي صَامِتٌ عَنْهُ عَادِلٌ ... وَقَلْبِي بِصَمْتِي ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلُ

(١٤٥) المتنبي: ديوانه، ص ٢٧١.

www.mtenback.com

وَأَتْعَبُ مَنْ نَـادَاكَ مَـنْ لاَ تُجِيْبُـهُ وَأَغْيَظُ مَنْ عَادَاكَ مَـنْ لاَ تُشَـاكِلُ
وَمَا الَّتْيهُ طِبِّـي فِيْهِـمُ غَـيْرَ أَنَّـهُ بَغِيْـضٌ إِلَيَّ الْجَـاهِلُ الْمُتَعَـاقِلُ

ومن صراحته مبالغته حين يمدح نفسه ويعلن موقفه الواثق كل الثقة بالذات فيقول[١٤٦]:

وَإِذَا أَتَتْـكَ مَذَمَّتِـي مِـنْ نَـاقِصٍ فَهِيَ الشَّـهَادَةُ لِـي بِـأَنِّيَ كَـامِلُ

وربما كانت الصراحة الشديدة لدى المتنبي وإعلانه الصريح عن رأيه في أهل عصره، سببًا أساسيًا في النهاية المبكرة لحياته مقتولاً على يد جماعة ممن أصابهم لسانه بهجاء مقذع[١٤٧]، لكن لا شك أن صراحة المتنبي في شعره وقوة بيانه، وكشفه لأغوار النفس الإنسانية، وفضحه لعيوب ومعضلات الحياة الاجتماعية والسياسية بل والدينية أيضًا؛ هي السبب الرئيس في ذيوع شعره وخلوده.

ولعل من أعلى درجات الصراحة أن يكشف المرء عيوب نفسه ويعلنها مقرًا بها ومعترفًا في صراحة وبلا مواربة. ومن ذلك مايروى عن دعبل بن علي الخزاعي الشاعر العباسي أنه قال: «ما كانت لأحد قط عندي منة إلا تمنيت موته»[١٤٨].

ويعلق أحد الباحثين المحدثين على ذلك بالقول: لا تستبشع هذا القول من ذلك الشاعر، فهو رجل صادق، يستثقل منن الناس عليه، ويراها قيودًا على لسانه وعقله، وكثير من الناس يستصحب هذا الشعور، دون أن يصرح به[١٤٩]. ولكن خطرات

---

[١٤٦] المتنبي: ديوانه، ص ٣٠٨.

[١٤٧] المصدر السابق، المقدمة: ١٤.

[١٤٨] أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين: الأغاني، تحقيق عبد الستار مزاد، بيروت، دار الثقافة (١٩٥٥م)، ٢٠: ص١٣٧.

[١٤٩] الطناحي: مستقبل الثقافة العربية، ص٣٥٥.

www.mtenback.com

الشاعر وإحساسه جعلته يصرح بشيء لا تقره عليه تقاليد المجتمع ومواضعاته التي تعترف لصاحب المنّة بالفضل وتدعو إلى حمده والثناء عليه، وليس تمني موته. إنها صراحة قاسية دون شك.

ويذكر القفطي أن المبرد كان ممسكًا بخيلاً، وكان يقول: «ما وزنت شيئًا بالدرهم إلا ورجح الدرهم في نفسي» هذا مع السعة التي كان فيها[١٥٠].

وكان سفيان بن سعيد الثوري المحدث الجليل، وإمام الحفاظ، وأمير المؤمنين في الحديث يقول: «لأن أحلف عشرة آلاف درهم، يحاسبني الله عليها أحب إلي من أن أحتاج إلى الناس». وروي أنه سئل عن مسألة وهو يشتري شيئًا فقال: «دعني فإن قلبي عند درهمي»[١٥١].

وهذا ضرب من الصراحة محمود لأنه يتعلق بما جبل عليه الرجل وهو بصراحته يصدق مع نفسه ويصدق مع محيطه الاجتماعي ولا يريد أن يخفي خصاله تحت غشاء رقيق من الستر الذي يكشف الناس ما وراءه ويعرفون خبيئته. ولا يجد الأحنف بن قيس الذي يضرب بحلمه المثل من الاعتراف بأنه كذب في حياته حتى وإن كان مرة واحدة حين اضطرته بعض المواقف إلى قول ما ليس صحيحًا أمام عمر بن الخطاب، وكأنه قد عظم في نفسه التعبير عن الصراحة فكرر اعترافه وصارح محدثيه أن المرء قد يحاول المجاملة في بعض المواقف حتى لو عمد إلى الكذب[١٥٢].

---

(١٥٠) القفطي، الوزير جمال الدين أبو الحسن علي يوسف: إنباه الرواة على أنباه النحاة – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة دار الكتب المصرية (١٩٥٠ – ١٩٧٢) ٣: ٢٤٩.

(١٥١) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ٧: ٢٤١، والطناحي: مستقبل الثقافة العربية: ٣٥٧.

(١٥٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤: ٨٩. والطناحي: مستقبل الثقافة العربية، ص٣٥٧.

www.mtenback.com

والصراحة، وإن كانت سلوكًا يظهر في جوارح الإنسان عامة، إلا أنها ترتبط أكثر ما ترتبط باللسان، والشاعر زهير بن أبي سلمى يقول[١٥٣]:

وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامتٍ لَكَ مُعْجِبٍ ... زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ صُوْرَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

وعلى الإنسان أن يحكم لسانه ويحذر من عثراته، وألا لا ينساق وراء إغواء الكلام دون تفكير وروية. وقد حذر أبوحامد الغزالي من آفات اللسان والوقوع فيها، والدخول في أحاديث الفحش والأمور المستقبحة والتي عادة ما تأتي من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم.

ولعل من أبرز نماذج الصراحة في أدبنا الحديث مانجده في كتاب " الأيام " للدكتور طه حسين، حيث صور فيه جوانب مختلفة من حياته بأسلوب فني بليغ وصادق. ومازال القراء يتلقفونه، جيلاً بعد جيل، لما يتميز به من صراحة وصدق في تصوير المجتمع المصري في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، والربع الأول من القرن العشرين، وكذلك لما يمتلئ به كتابه من صراحة حادّة مؤثرة في نقد شتى المظاهر والعادات الاجتماعية والأوضاع السياسية والدينية والاقتصادية والأمراض الأخلاقية.

ولقد فتح طه حسين بكتابه هذا الباب لمن جاء بعده من أدباء العربية لِيُدْلُوا بِدَلْوِهم ويسجلوا تجاربهم الذاتية مع الحياة والمجتمع؛ فكتب المازني سيرته الذاتية في (قصة حياة)، وكتب العقاد (أنا) و (عالم السدود والقيود) و(في بيتي)، وكتب توفيق الحكيم (زهرة العمر) و (سجن العمر)، وكتب الأديب اللبناني (ميخائيل نعيمة) سيرته الذاتية في عدة مجلدات بدأها بكتابه (سبعون) وغير هؤلاء كثيرون ممن حاولوا كشف

[١٥٣] زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ٦٨.

www.mtenback.com

حقائق حياتهم وتسليط الأضواء على الجوانب الغامضة منها، وكانت وسيلتهم الأولى في ذلك: الصراحة النافعة والعقلانية دون تفحش أو فجور.

يقول الدكتور طه حسين في الفصل الأخير من الجزء الأول من (الأيام) مخاطبًا ابنته[١٥٤]: «إنك يا ابنتي لساذجة سليمة القلب طيبة النفس، أنت في التاسعة من عمرك، في هذه السن التي يُعجب فيها الأطفال بآبائهم وأمهاتهم، ويتخذونهم مُثُلاً عليا في الحياة... ألست ترين أن أباك خير الرجال وأكرمهم؟ ألست ترين أنه قد كان كذلك خير الأطفال وأنبلهم؟.. ألست تحبين أن تعيشي الآن كما كان يعيش أبوك حين كان في الثامنة من عمره؟ ومع ذلك فإن أباك يبذل من الجهد ما يملك وما لا يملك، ويتكلف من المشقة ما يطيق وما لا يطيق، ليجنبك حياته حين كان صبيًا».

لقد استخدم لفظة الصراحة كثير من الكُتّاب والأدباء المعاصرين للإيحاء لقرائهم بالصدق والأمانة والإخلاص في الكشف عما يجري من أحداث سياسية واجتماعية، وفي الإبانة الواضحة عن آرائهم وأفكارهم ومشاعرهم فيما يجري داخل مجتمعاتهم.

فقد كان للصحفي المعروف محمد حسنين هيكل مقال أسبوعي في جريدة الأهرام، عنوانه: بصراحة.

وهذا الأديب يوسف إدريس له كتاب اسمه: (بصراحة غير مطلقة)[١٥٥] ونلاحظ في العنوان صياغة فنية تكشف أن الصراحة لها درجات وأبعاد متعددة، وليست نوعًا واحدًا بل هناك أنواع وألوان مختلفة ومتباينة منها. ويرجع ذلك إلى أمرين أولهما: أنه ليست هناك صراحة مطلقة بل إن الشخص الصريح لا يكون صريحًا تمامًا أبدًا فهو يخفي شيئًا ولو كان ضئيلاً من الحقيقة.

---

[١٥٤] طه حسين: الأيام، الجزء الأول، دار المعارف، القاهرة، (١٩٧٥م)، ص١١٨.

[١٥٥] يوسف إدريس: بصراحة غير مطلقة، دار مصر للطباعة، القاهرة (د.ت).

www.mtenback.com

والسبب الآخر: هو أنه استغراق في الصراحة من الكاتب؛ فهو يصارحنا بـــأن صراحته غير مطلقة.

من كل ما سبق يتأكد أن (الصراحة) قيمة عربية أصيلة مازالت تُلحُّ بضرورتها في واقعنا المعاصر، كما أنها كانت وما زالت واحدة من مكارم الأخلاق النابعة مـــن المجتمع العربي وهي ذات أثر عميق في تشكيل ملامحه وتوجيه تاريخه منذ نشأته.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ... الآية﴾	٨-١٠	٣٧
آل عمران	﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ... الآية﴾	١٣٤	٥٤
النساء	﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ... الآية﴾	٢٠	٢٠
التوبة	﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ... الآية﴾	٦٤	٣٧
الإسراء	﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ... الآية﴾	٣٧	٥٠
الكهف	﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا... الآية﴾	٣٢-٣٤	٤٩
لقمان	﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي... الآية﴾	١٨	٥٠
الحجرات	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ... الآية﴾	١٠	٣٢
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ... الآية﴾	١٢	٦٤
الرحمن	﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ... الآية﴾	١-٤	١٧

موقع الدكتور محمد مهدي المتنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس...»	٥٧
«أنا سيد ولد آدم ولا فخر»	٥٠
«... إن من البيان لسحراً»	٩
«كل أمتي معافى إلا المجاهرين...»	٢٠
«... كلمة حق عند سلطان جائر»	٢٢
«لا يدخل الجنة نمام»	٦٤
«لا يكن أحدكم إمعة»	٥٧
«المؤمن كيّس فطن»	٤٦
«من تواضع لله رفعه»	٥٠

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ى ـ		
ومن جهلت	يرى	المتنبي	١	٥٠
		ـ ب ـ		
أرى	صبا	المتنبي	٣	٣٥
كلاب	كلبا	المعري	١	٤٤
ولست	المهذبُ	–	١	٤٣
إذا أنت	مشاربُهْ	بشار بن برد	١	٤٣
ومن ذا	معايبُهْ	–	١	٤٣
فلا يغررك	خِبٌّ	المعري	١	٦٥
		ـ ج ـ		
قدّر	زجلا	–	١	٦٥
		ـ ح ـ		
تعلو	الصرحُ	المتنخل الهذلي	١	٧
وارحمتا	فضّاحُ	السهروردي	٤	٦٢
إذا امتلّ	مصرحِ	الطرماح	١	٧
		ـ د ـ		
يقولون	باردا	حافظ إبراهيم	١	٩٦
قف	جهادُ	أحمد شوقي	١	٣٨
ومن نكد	بدٌّ	المتنبي	١	٢٨
آذم	وغدُ	المتنبي	٣	٥٥

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
ومن نكد	بدُّ	سيبويه المصري	١	٥٥
وكذاك	الأجسادِ	أبو تمام	١	١٩
ما مقامي	اليهودِ	المتنبي	٩	٥٨
— ر —				
وللحرب	أحمرا	جامع	١	١١
رأيت	مغيرا	–	١	١٨
أيها الشامت	الموفورُ	عدي بن زيد	١٣	١٤
وتحسب	الأكبرُ	–	١	٣٩
— س —				
أسألت	بالناسِ	–	١	٦٥
— ض —				
وهل يأمن	متعرض	ابن حزم	٢	٦٢
— ظ —				
وأودعت	حافظُ	أحمد شوقي	١	٦٩
— ع —				
غيري	شجعوا	المتنبي	٢	٢٣
ومن يبتدع	الرواجعُ	حاتم الطائي	١	٤١
ومن يقترف	الطبائعُ	الأعور الشني	٢	٤١
أقول	تراعي	قطري بن الفجاءة	٤	٣٥
— ق —				
إذا ضاق	أضيقُ	–	١	٢٦

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
طباع	تنافقُهْ	المعري	٣	٥٧
أيّ	أتقي	المتنبي	٣	٥١
	ـــ ل ـــ			
نقضي	ذُلُلُ	المعري	٢	٣١
أفي	يطاولُ	المتنبي	٤	٧٣
وإذا أتتك	كاملُ	المتنبي	١	٧٤
عليك	زللهْ	–	١	١٨
دعيت	النزولِ	المعري	١	٤٤
ومايك	الفصيلِ	–	١	٦٩
	ـــ م ـــ			
هذا الذي	الحرمُ	الفرزدق	٥	٤١
تبوح	يكتمُ	–	٣	٢٦
ساكتمه	كريمُ	–	٢	٢٧
وأطوي	كتومُ	–	١	٤٨
سيعلم	قدمُ	المتنبي	٤	٥١
خلّ	بسلامِ	أبو نواس	٢	٢١
إذا ساء	توهمِ	المتنبي	٢	٢٢
أصادق	التكلمِ	المتنبي	٧	٧٦
ولّما صار	بابتسامِ	المتنبي	١	٢٣
ومن لم	بمنسمِ	زهير بن أبي سلمى	١	٢٨
أثني	أُظلمِ	عنترة بن شداد	٤	٣٤
أرى	الكلمِ	المتنبي	٥	٤٠

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
أقمت	أمامي	المتنبي	١٥	٥٩
وكائن	التكلمِ	زهير بن أبي سلمى	٢	٧٦
ـــ ن ـــ				
كلْ	يعذبون	المعري	٣	٦٥
أبا هند	اليقينا	عمرو بن كلثوم	٥	٣٣
وإن ضيع	أمينُ	قيس بن الخطيم	٢	٤٨
قد هوّن	الخشنِ	المتنبي	٥	٢٣
أنافق	داني	المعري	٣	٦٥

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«صرح الحق عن محضه»	٨
«عند التصريح تستريح»	٨

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

إدريس، يوسف:

بصراحة غير مطلقة، القاهرة، مكتبة مصر بالفجالة، د.ت.

أسعد، يوسف ميخائيل:

الصراحة ما لها وما عليها، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م.

الأصفهاني، أبو الفرج:

الأغاني، بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٥م.

البرقوقي، عبد الرحمن:

شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

البيهقي، إبراهيم بن محمد:

المحاسن والمساوئ، وقف على طبعه: فريدريك شوالي، ليبزج، ١٩٠٢م.

الجاحظ، أبوعثمان عمرو بن بحر:

ـ الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٨م.

ـ رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩م.

جاد المولى، محمد أحمد، وآخرون:

قصص العرب، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢م.

حاتم الطائي، حاتم بن عبد الله:

ديوانه، صنعة: يحيى بن مدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، تحقيق: عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.

www.mtenback.com

ابن الحجاج، مسلم:

صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ت.

الحريري، القاسم بن علي:

مقامات الحريري، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد:

طوق الحمامة في الألفة والألالف، القاهرة، دار الهلال، ١٩٩٤م.

حسين ، طه:

الأيام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م.

الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم:

المصون في سر الهوى المكنون، تحقيق: النبوي عبد الواحد شـــعلان، دار العرب للبستاني، القاهرة، ١٩٨٩م.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي:

تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.

الخطيب التبريزي، يحيى بن علي:

شرح ديوان أبي تمام، تقديم: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن:

الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، دار الجيل.

خورشيد، عبد الله:

أوراق مصرية، القاهرة، دار الهلال، ١٩٨٥م.

الذهبي، شمس الدين:

سير أعلام النبلاء، بيروت، دار الكتب العلمية.

www.mtenback.com

الزبيدي، السيد محمد مرتضى:

تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر:

المستقصى في أمثال العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٧م.

زهيربن أبي سلمى:

ديوان زهير بن أبي سلمى، بيروت، دار صادر

ابن زولاق، أبو محمد الحسن بن إبراهيم:

كتاب أخبار سيبويه المصري، تحقيق: محمد إبراهيم سعد، وحسين الديب القاهرة ١٩٣٣م.

السقا، مصطفى، وآخرون:

مختار الشعر الجاهلي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

شوقي، أحمد:

أسواق الذهب، القاهرة، مكتبة مصر بالفجالة.

الشيرازي، السعدي:

جنة الورد «كَلستان Golestan»، تعريب: أمين عبد المجيد بدوي، المركز العربي للصحافة، القاهرة، ١٩٨٣م.

صليبا، جميل:

المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧١م.

ضيف، شوقي:

ـــ البطولة في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.

ـــ البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م.

ـــ عالمية الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

www.mtenback.com

الطناحي، د. محمود محمد:

مستقبل الثقافة العربية، القاهرة، دار الهلال، ١٩٩٩م.

ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبدالله:

فتوح مصر وأخبارها، القاهرة، مكتبة مدبولي.

أبوعبيد القاسم بن سلام:

كتاب الأمثال، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ١٩٨٠م.

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد:

الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الكتب العربية ١٢٨٧هـ.

القفطي، الوزير جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف:

إنباه الرواة على أنباه النحاة، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٠-١٩٧٢م.

الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف الكندي:

ولاة مصر وقضاتها، بيروت، ١٩٠٨م.

مبارك، زكي:

الأخلاق عند الغزالي، القاهرة، دار الشعب، ١٩٧٠م.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد:

الكامل في اللغة والأدب، بيروت، دار الكتب العلمية.

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين:

ديوان المتنبي، القاهرة، مكتبة مصر بالفجالة، ١٩٩٤م.

محمود، زكي نجيب:

قيم من التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

www.mtenback.com

المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله:

اللزوميات أو لزوم ما لا يلزم، وقف على طبعه: عزيز أفنـــــدي زنـــد، القاهرة.

ابنَ المقفع، عبدالله:

كليلة ودمنة، القاهرة، مكتبة مصر بالفجالة.

ابن منظور، محمد بن مكرم:

لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

هارون، عبد السلام محمد:

تهذيب الحيوان للجاحظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com